المقاصد
من بعض الاستفسارات النبوية
في الكتب الستة

إعداد

د/ نهلة محمود عبد العاطي الرفاعي

أستاذ مشارك في قسم الكتاب والسنة ، كلية الدعوة
وأصول الدين ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة

المقاصد من بعض الاستفسارات النبوية في الكتب الستة

نهلة محمود عبدالعاطي الرفاعي
قسم الكتاب والسنة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ،
البريد الالكتروني : Dr.nahla93@hotmail.com

الملخص :
حوى البحث على أسئلة إرشادية لا استعلامية، أثارها النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطرحها على صحابته الكرام رضوان الله عليهم؛ للفت انتباههم لأمر مهم، أو إخبارهم عن أمر غيبي لا يُعرف إلا عن طريق الوحي، **أو صحح لهم مفاهيم كانت مغلوطة، أو** أَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُم، لِيُبَيِّنَ لَهُم مَا يُشْكِلُ عَلَيْهِم مِنْهُ، **أو مهد لهم** لِبَيَّنَ لهم أمر، **وذلك من خلال جمع نماذج من الأحاديث التي ورد فيها السؤال صراحة كقوله** «أَتَدْرُونَ مَا.....؟»، «أَتَدْرِي مَنِ.....؟» وأضرابهما، من الكتب الستة، **وذلك بالوقوف على السؤال المطروح ومعرفة حقيقته وما يكمن خلفه من حقائق.**
وقد بُدء البحث بمقدمة فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، وحدوده، ثم المنهج الذي سار عليه البحث، ثم الدراسات السابقة للبحث، ثم خطته، وقد بُني البحث على ثلاثة فصول، كان الفصل الأول للعبادات، وفيه سبعة مباحث، والفصل الثاني للأمور الغيبية، وفيه تسعة مباحث، والفصل الثالث للآداب، وفيه خمسة مباحث،
ثم انتهت الدراسة بخاتمة نسأل الله حسنها، وفيها نماذج لصيغ الأسئلة الواردة في البحث، وأهم النتائج والتوصيات، وثبتا يشمل المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث مرتبا ترتيبا هجائيا.

الكلمات المفتاحية : أسئلة النبي صلى الله عليه وسلم الارشادية، المقاصد من قوله صلى الله عليه وسلم اتدرون واضرابها ، ما يكمن خلف قول النبي صلى الله عليه وسلم (اتدرون).

The purposes of some prophetic inquiries in the six books

Nahla Mahmoud Abdulaty Al-Refai
Book of Quran and Sunnah Department, Faculty of Advocacy and Religious Origins, Um Al-Qura University, Mecca،
Email: Dr.nahla93@hotmail.com

Abstract:
The research includes questions of guidance rather than inquiry, raised by the Prophet, who prayed to God against him and handed them over to His honorable companions, May Allah be Satisfied with them; To draw their attention to an important matter, to tell them about an absentee thing that is known only by revelation, to correct them with concepts that were misconceived, or to tell them what they have, to show them what they are forming, or what has been prepared for them, in which they have an order. "You know What?" "You know who.....?" and their synonyms from the six books, by identifying the question and knowing the truth and the facts behind it. The research began with an introduction to the importance of the subject, the reason for its choice, the problem of research, its objectives, its limits, the approach to which the research proceeded, the previous studies of the research, and then its plan. The research was based on three chapters, the first chapter of which is worship, seven sections, the second chapter of absentee matters, nine sections, and the third chapter of literature, with five sections.
Then, the study has been concluded with a conclusion that we ask Allah to be good in the hereafter, with models of the formulas of the questions that are included in the research, the most important findings and recommendations, and a validation that includes the sources and references on which the research is based, ranking an alphabetical arrangement. Keywords: Guiding Questions of the Prophet, Peace and blessings be upon Him, Purposes of the Prophet's statement (Do You Know?), The deep meaning behind the statement of the prophet Peace and Blessings be upon Him (Do You Know?) and their synonyms.

Keywords: The Guiding Questions Of The Prophet, May God’s Prayers And Peace Be Upon Him, The Purposes Of His Saying, May God’s Prayers And Peace Be Upon Him, “You Know” And Its Opposite, What Lies Behind The Saying Of The Prophet, “May God’s Prayers And Peace Be Upon Him,” (You Know).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، برحمته اهتدى المهتدون، وبعدله وحكمته ضل الضالون، أحمده حمدا كثيرا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغاما لمن جحد وكفر، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، سيد الخلائق والبشر، الشفيع المشفع في المحشر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معلم الحكمة وهادي الأمة، وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه ما اتصلت عين بنظر، وسمعت أذن بخبر.

أَمَّا بعدُ:

فإن الدعوة إلى الله جل جلاله مهمة الرسل، فإنما بعثوا دعاة إلى الخير، وهداة للبشر، مبشرين من آمن ، بعظيم العطاء، ووافر الجزاء، ومنذرين من عصاه بعذاب شديد، وقد بَلَغَ قدوتنا، وقائدنا نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذروة في النصح والإرشاد، فهو رسول الله للناس كافة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وهو خاتم الرسل، سيد ولد آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليماً كثيراً، جمع الله جل جلاله الأنبياء تحت لوائه، ووصفه بالرحمة، والحرص على المؤمنين، فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وحرصه كان للناس كافة، ولأمته خاصة، ومن صور حرصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيانه لأمته حقائق أمور قد تغيب عنهم، أو يصحح لهم مفاهيم قد تلتبس عليهم، أو يلفت انتباههم إلى ما قد يغفلون عنه، وكثيرا ما كان يجلي لهم الفارق بين قوانين الدنيا، وقوانين الأخرة، ويبين موازين الله سبحانه وتعالى، وموازين العباد، هذا وغيره بطرق عدة، وأساليب مختلفة، وكل ذلك من قبيل النصح والارشاد لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

إن طرح السؤال من الوسائل التعليمية والتربوية المهمة، ولقد استثمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الطريقة في نصحه وإرشاده لأمته، فطرح عدة أسئلة إرشادية لا استعلامية، فبها استثار أفهامهم [١]، ولفت اذهانهم، وتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِمْ، وتشوقوا لسماع الإجابة، [٢] وبالسؤال صحح لهم مفاهيم كانت مغلوطة [٣]، وأَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُم، وَيَبِّنَ لَهُم مَا أُشْكِلُ عَلَيْهِم مِنْهُ، [٤] ومهد لهم ليبَيَّنَ لهم أمر، [٥]أو ليعلمهم ما لعلهم لم ينتبهوا للسؤال عنه،[٦]فاستثار حرصهم على الخير والمعرفة، وبث فيهم العلم بطريقة مرغبة، فكانت أسئلة متنوعة ما بين الحقائق الغيبية التي لا يعرفونها إلا عن طريق الوحي، والتي يجب الإيمان بها، و ما كان علمهم بها محصور ا في أمور الدنيا، ويغفلون عن حقيقتها في الآخرة، أو يغفلون عن خطر التفريط فيها، وغير ذلك مما سيرد في ثنايا البحث، من فمن هنا كانت فكرة البحث بجمع نماذج من هذه الأسئلة والوقوف عليها؛ لمعرفة حقيقتها ومغزاها ،والفوائد التي تكمن خلف طرحها، ولا تقف الفائدة عند هذا الحد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] فما جاء عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خير كله، ومجالا للاقتباس،

(١) ينظر المبحث السادس (مشروعية الدُّعَاءِ باسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ) من الفصل الأول العبادات.

(٢) ينظر المبحث الأول (الثبات عَلَى الْإِسْلَامِ من أسباب شَّفَاعَة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من الفصل الثاني فصل الأمور الغيبية.

(٣) ينظر المبحث الرابع (حقيقة المفلس) من الفصل الثالث فصل الآداب.

(٤) ينظر المبحث الرابع من الفصل الأول (العلم بحَقّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ وبحَقّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ) فصل العبادات.

(٥) ينظر المبحث الخامس (طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا) من الفصل الثاني فصل الأمور الغيبية.

(٦) ينظر المبحث السابع (فَضْلِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ) من الفصل الأول فصل العبادات.

والسير به على خطاه، وتحقيق لمن عمل به بهذه النية، إصابة السنة، وبالمقابل أيضا يكون مجالا للوقوف على أدب الصحابة رضوان الله عليهم في تلقيهم، فغالبا ما كانوا يردون ذلك لله ورسوله، فيقولون: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، لزوماً للأدب، ووقوفاً عند حد العلم، وخروجاً عن مجاوزته. (١)

مشكلة البحث: يَرُومُ البحث الإجابة على التساؤلات التالية:

١) ما أهم الأحاديث التي ابتدر فيها النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحابته الكرام بالسؤال عنها في الكتب الستة؟

٢) ما هو السؤال المطروح من خلال هذه الأحاديث؟

٣) ماهي حقيقة هذا السؤال، والهدف والمغزى من هذا السؤال؟

٤) ما الفوائد التي تكمن خلف طرح هذا السؤال؟

أهداف البحث: الوقوف على الأحاديث التي استفسر فيها النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أمور؛ لأهداف يرمي من خلالها بيان حقيقتها، أو ما تؤل إليه، أو يُنمي إلى علمهم أمر غيبي، فيستفاد من هذه الفوائد، ويقتبس طريقة جيدة في التعليم، ويُتأدب بأدب الصحابة الكرام في طريقة تلقيهم للعلم.

حدود البحث: جمع نماذج من الأحاديث المرفوعة المقبولة من الكتب الستة (الصحيحين وسنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن النسائي الصغرى وسنن ابن ماجه) والتي ورد فيها سؤال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صراحة بلفظ الجمع أَتَدْرُونَ مَا .....، أو أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا...؟ أو «اكْتُبُوا لِي مَنْ .....؟، أو هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟ أو بصيغة المفرد أَتَدْرِي مَنِ...؟ أو هَلْ تَدْرِي مَا...؟

(١) محمد الصديقي . دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٨/ ٥٤٨) ، نشر: دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولا: جمع الروايات في الأعم الأغلب التي ورد فيها السؤال ب «أَتَدْرُونَ مَا.؟» وأضرابها.

ثانيا: قد يكون السؤال هو محور الحديث، وقد يكون السؤال هو جزء من الحديث فلا يخص بالبيان إلا المسؤول عنه وما يترتب عليه في الغالب؛ إذ القصد هو الوقوف على السؤال، ومعرفة العلم الذي ينبغي أن يصل للمسلم من خلاله.

ثالثا: تخريج الروايات بعزوها إلى مصادرها الأصلية على أن ينحصر التخريج في الكتب الستة من طريق صحابي واحد وإن تعددت الطرق، وقد يكتفي البحث بالطرق التي ورد فيها التصريح بالسؤال، وقد تزيد في طرق الحديث أثناء الوقوف على حقيقة السؤال حسب الحاجة في البيان؛ إذ القصد الوقوف على السؤال لمعرفة مغزاه وما يترتب عليه.

رابعا: لم يُترجم للصحابة رضوان الله عليهم، ولا للأئمة شراح الحديث لشهرتهم، ويُكتفي بترجمة الراوي عند الحكم على السند بقول ابن حجر في تقريب التهذيب(إن وافق جمهور العلماء).

الدراسات السابقة: لم تقف الباحثة على دراسة حديثية في حد علمها تجمع استفسارات النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكتب الستة وتبين مقاصدها.

خطة البحث: تتكون خطة البحث من مقدمة بُين فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، وحدوده، ثم المنهج الذي سار عليه البحث، ثم الدراسات السابقة للبحث، ثم خطته، وقد بُني البحث على تمهيد ثم ثلاثة فصول، كان الفصل الأول للعبادات، وفيه سبعة مباحث، المبحث الأول: معنى توحيد الله جل جلاله، والإيمان بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المبحث الثاني: مشروعية نسبة النعم للمنعم الحقيقي وهو الله جل جلاله، وشكره عليها، المبحث الثالث: تعلم قواعد الدين، المبحث الرابع: العلم بحَقّ اللَّهِ تعالى عَلَى

العِبَادِ، وبحَقّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ، المبحث الخامس: مَشْرُوعِيَّةُ كِتَابَةِ دَوَاوِينِ الْجُيُوشِ، المبحث السادس: مشروعية الدُّعَاءِ باسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، المبحث السابع: فَضْلِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ،

والفصل الثاني للأمور الغيبية، وفيه تسعة مباحث، المبحث الأول: الثبات عَلَى الْإِسْلَامِ من أسباب شَّفَاعَة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، المبحث الثاني: الاستقامة عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَطلب القرب من اللَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ بِقَدْرِ الطاقة، المبحث الثالث: مقدار عمق نار جهنم، المبحث الرابع: نهر الْكَوْثَر من الْخَيْرِ الْكَثِيرِ الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المبحث الخامس: طلوع الشمس من مغربها، المبحث السادس: الدَّجَّال ودابة الْجَسَّاسَة، المبحث السابع: محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّد القَوْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، المبحث الثامن: أمة محمد شطر أهل الجنة، المبحث التاسع: ستر الله على المؤمن يوم القيامة، وفضح الكافر بشهادة جوارحه وأعضاؤه،

والفصل الثالث للآداب، وفيه خمسة مباحث، المبحث الأول: حقيقة الغِيبة ، المبحث الثاني: حقيقة النميمة، المبحث الثالث: حقيقة الأمل ، المبحث الرابع: حقيقة المفلس، المبحث الخامس: الهدي النبوي في تحية اليهود، مذيلة كل مبحث بحقيقة السؤال وما يكمن خلفه والمقصد من السؤال ، ثم انتهت الدراسة بخاتمة نسأل الله حسنها، وفيها نماذج لصيغ الأسئلة الواردة في البحث، وأهم النتائج والتوصيات، وثبتا يشمل المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث مرتبا ترتيبا أبجديا.

التمهيد:

إن الناس يتفاوتون في تحصيلهم العلمي، فمنهم العالم المتقن، ومنهم دون ذلك، وكما يتفاوتون في التحصيل، هم يتفاوتون في القدرة على توصيل المعلومة، فليس بالضرورة كل من أتقن ونضج علمه، وارتقى فهمه، أن يكون قادرا على إيصال المعلومة، ولقد سلك النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أساليب عدة في المخاطبة، ووسائل حسية متنوعة لتبليغ رسالته إلى كافة طبقات المجتمع، فمن وسائله الحسية، استعمال الإشارة باليدين، كما روى جُبَيْر بْن مُطْعِمٍ رضي الله عنه، عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أَمَّا أَنَا فَأُفِيضُ عَلَى رَأْسِي ثَلاَثًا، وَأَشَارَ بِيَدَيْهِ كِلْتَيْهِمَا»،[1] أو الإشارة إلى اللسان كما قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يُعَذِّبُ اللَّهُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا» فَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، [2] وغيرها الكثير ، ومن أساليبه التعليمية لتقريب المعلومة، وتوضيح الفكرة ضرب المثل، والتشبيه، فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ »[3] وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً

(١) البخاري . الصحيح كتاب الغسل بَاب مَنْ أَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثًا (١/ ٦٠) (٢٥٤)، نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

(٢) البخاري . الصحيح كتاب الطلاق بَاب الإشارة في الطلاق والأمور(٧/ ٥١) ، وينظر عبدالكريم الخطيب . تأصيل الوسائل التعليمية في السنة النبوية، بحث منشور في مجلة التراث النبوي (العددان الأول والثاني) ١٤٣٩هـ .

(٣) البخاري . الصحيح كتاب المناقب بَاب خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤/ ١٨٦) (٣٥٣٥) .

لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»، [1]كما استخدم النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القصة كأسلوب من الأساليب التعليمية؛ لتكون أوقع في قلب المخاطب، كما روى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إِنَّ ثَلاَثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، – أَوْ قَالَ: البَقَرُ، هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الأَبْرَصَ، وَالأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ –، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى

(١) البخاري . الصحيح كتاب العلم باب قَوْلِ المُحَدِّثِ: حَدَّثَنَا، وَأَخْبَرَنَا، وَأَنْبَأَنَا (١/ ٢٢) . (٦١)

الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ »، [1]وكان طرح السؤال بطرق عدة، اسلوب من اساليبه التعليمية الكثيرة التي استخدمها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لذا كان من الضرورة بمكان الوقوف على نماذج من هذه الأسئلة ومعرفة مقاصدها ومغزاها.

(١) البخاري . الصحيح كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني اسرائيل(٤/ ١٧١) (٣٤٦٤) .

الفصل الأول فصل العبادات

المبحث الأول: معنى توحيد الله جل جلاله، والإيمان بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟ – أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ –» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ "، وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»

تخريج الحديث: الحديث مداره على أَبِي جَمْرَةَ نَصْر بْن عِمْرَان الضُّبَعِيُّ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ مرفوعا، أَخْرَجَهُ البخاري في [1]كِتَاب الإِيمَانِ بَاب أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الإِيمَانِ، وَأَخْرَجَهُ أبوداود في [2]كِتَاب السُّنَّةِ بَاب فِي رَدِّ الْإِرْجَاءِ وكلاهما من طريق شُعْبَةُ، وَأَخْرَجَهُ مسلم في [3] كِتَاب الإِيمَانِ بَاب الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، من طريق عَبَّاد بْن

(١) الصحيح (١/ ٢٠) (٥٣) .
(٢) السنن (٤/ ٢١٩) (٤٦٧٧) نشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
(٣) الصحيح (٤٦/١) (٢٣) نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

عَبَّاد وحَمَّاد بْن زَيْدٍ و(شُعْبَةُ ، عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ، حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ) عَنْ أَبِي جَمْرَة عنه به.

السؤال المطروح: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟» هكذا ورد السؤال في رواية البخاري، وورد عند مسلم «آمركم بأربع وأنها كم عَنْ أَرْبَعٍ، الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ فقال شهادة أن لا إله الا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ» فالسؤال عن توحيد الله جل جلاله، وعن الإيمان بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ» وَالْمَذْكُورُ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ خَمْسٌ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذَا على أقوال منها: ما قاله الامام ابن بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ: أَمَرَهُمْ بِالْأَرْبَعِ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا، ثُمَّ زَادَهُمْ خَامِسَةً، يَعْنِي أَدَاءَ الْخُمُسِ، وهذا غير منكور، لأنه وَفَّى لهم بوعده في الأربع التي سألوه عنها، ولم يجعل التوحيد، ولا الإيمان بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأربع، لعلمهم بذلك، وإنما أمرهم بِأَرْبَعٍ لم تكن في علمهم أنها دعائم التوحيد وأصله، وَمعنى الحديث : أن الإيمان واقع على الأعمال، بدليل أنه أوقع اسم الإيمان على الإقرار بشهادة التوحيد، وَعلى إِقَام الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاء الزَّكَاةِ ، وَصِيَام رَمَضَانَ ، وَأَدَاءَ الْخُمُسِ، وكذلك أعلمهم أن أَدَاءَ الْخُمُسِ من الإيمان، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجَاوِرِينَ لِكُفَّارِ مُضَرَ ، وَكَانُوا أَهْلَ جِهَادٍ ونكاية لهم،(١) وتبعه الْقَاضِي عِيَاضُ في قوله، فقَالَ :كَأَنَّهُ أَرَادَ إِعْلَامَهُمْ بِقَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وأُصُول العِبَادات وَقُرُوضِ الْأَعْيَانِ ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ بِمَا يَلْزَمُهُمْ إِخْرَاجُهُ إِذَا وَقَعَ لَهُمْ جِهَادٌ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِصَدَدِ مُحَارَبَةِ كُفَّارِ مُضَرَ وَلَمْ يَقْصِدْ ذِكْرَهَا بِعَيْنِهَا لِأَنَّهَا مُسَبَّبَةٌ عَنِ الْجِهَادِ وَلَمْ يَكُنِ الْجِهَادُ إِذْ ذَاكَ فَرْضَ عَيْنٍ،(٢) وَقول ابن بطال

(١) شرح صحيح البخاري (١/١١٨- ١١٩) نشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) هذا القول أوجزه ابن حجر، ينظر إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٢٩٩) ، نشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٨، فتح الباري (١/١٣٣) نشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

نعته النووي أنه أظهر الأقوال،[1] وقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قِيلَ إِنَّ أَوَّلَ الْأَرْبَعِ الْمَأْمُورِ بِهَا إِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الشَّهَادَتَيْنِ تَبَرُّكًا بِهِمَا كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٤١]، [2] وَإِلَى هَذَا نَحَا الطِّيبِيُّ، فَقَالَ: عَادَةُ الْبُلَغَاءِ أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ مَنْصُوبًا لِغَرَضٍ جَعَلُوا سِيَاقَهُ لَهُ وَطَرَحُوا مَا عَدَاهُ وَهُنَا لَمْ يَكُنِ الْغَرَضُ فِي الْإِيرَادِ ذِكْرَ الشَّهَادَتَيْنِ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مُقِرِّينَ بِكَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ وَلَكِنْ رُبَّمَا كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ الْإِيمَانَ مَقْصُورٌ عَلَيْهِمَا كَمَا كَانَ الْأَمْرُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَلِهَذَا لَمْ يَعُدَّ الشَّهَادَتَيْنِ فِي الْأَوَامِرِ، [3] وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ عَدَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَاحِدَةً لِأَنَّهَا قَرِينَتُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَتَكُونُ الرَّابِعَةُ أَدَاءَ الْخُمُسِ، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَعُدَّ أَدَاءَ الْخُمُسِ لِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْجَامِعُ بَيْنَهَمَا أَنَّهُمَا إِخْرَاجُ مَالٍ مُعَيَّنٍ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، [4]وَ لَمْ يَذْكُرِ الْحَجَّ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ إِنَّمَا أَخْبَرَهُمْ بِبَعْضِ الْأَوَامِرِ لِكَوْنِهِمْ سَأَلُوهُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِمَا يَدْخُلُونَ بِفِعْلِهِ الْجَنَّةَ فَاقْتَصَرَ لَهُمْ عَلَى مَا يُمْكِنُهُمْ فِعْلُهُ فِي الْحَالِ وَلَمْ يَقْصِدْ إِعْلَامَهُمْ بِجَمِيعِ الْأَحْكَامِ الَّتِي تَجِبُ عَلَيْهِمْ فِعْلًا وَتَرْكًا؛ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ اقْتِصَارُهُ فِي الْمَنَاهِي عَلَى الِانْتِبَاذِ فِي الْأَوْعِيَةِ مَعَ أَنَّ فِي الْمَنَاهِي مَا هُوَ أَشَدُّ فِي التَّحْرِيمِ مِنَ الِانْتِبَاذِ لَكِنِ اقْتَصَرَ عَلَيْهَا لِكَثْرَةِ تَعَاطِيهِمْ لَهَا، وَالْحِكْمَةُ فِي الْإِجْمَالِ بِالْعَدَدِ قَبْلَ التَّفْسِيرِ أَنْ تَتَشَوَّفَ

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ١٨٤) نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

(٢) ذكره ابن حجر وعزاه للقرطبي ولم أقف عليه في مظانه من كتبه، ينظر فتح الباري (١/ ١٣٢) .

(٣) شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (٢/ ٤٦١) نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) ، عدد الأجزاء: ١٣، ابن حجر . فتح الباري (١/ ١٣٢) .

(٤) ابن حجر . فتح الباري (١/ ١٣٣) .

النَّفْسُ إِلَى التَّفْصِيلِ ثُمَّ تَسْكُنَ إِلَيْهِ وَأَنْ يَحْصُلَ حِفْظُهَا لِلسَّامِعِ فَإِذَا نَسِيَ شَيْئًا مِنْ تَفَاصِيلِهَا طَالَبَ نَفْسَهُ بِالْعَدَدِ فَإِذَا لَمْ يَسْتَوْفِ الْعَدَدَ الَّذِي فِي حِفْظِهِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ بَعْضُ مَا سمع. (١)

المقصد من السؤال وثمرته: بدء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسؤال ملاطفة ليؤانسهم فقال: «مَنِ القَوْمُ؟ – أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ –» وبعد إجابتهم قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»، وهذا يدخل السرور والطمأنينة على قلوبهم، ثم راعى ظروفهم وأجابهم عن اسئلتهم، وركز على الأمر الفصل الذي يدخلون به الجنة، فجمع أعمال جوارح وأدخلها تحت مسمى الإيمان، وهذا يعني أن الإسلام والايمان كلاهما يدلل على الأخر إن ذكر وحده، وهكذا ينبغي للمعلم الإجابة عن السؤال المطلوب مع التركيز على الأمور المهمة، ومراعاة حال السائل وملاطفته ومؤانسته؛ لتزول الهيبة وتكون الإجابة أوقع في قلبه.

المبحث الثاني: مشروعية نسبة النعم للمنعم الحقيقي وهو الله جل جلاله وشكره عليها

عن زيد بن خالد الجُهَنِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قال: صلَّى لنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاةَ الصُّبْحِ بالحُديبيَةِ في إثْر سَمَاءٍ كانت مِن الليلِ، فلما انصرفَ أقبلَ على الناسِ، فقالَ: «هَلْ تَدْرونَ ماذا قال ربُّكم؟» قالوا: الله ورسولُه أعلمُ، قال: قال: «أصبحَ مِنْ عبادِي مُؤْمنٌ بي وكافِرٌ: فأما من قال: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ ورَحْمَتِه، فذلك مؤمِنٌ بي كافِرٌ بالكوكَبِ، وأما مَنْ قال: مُطِرْنَا بِنَوء (٢) كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكبِ».

(١) ابن حجر . فتح الباري (١/ ١٣٤) .

(٢) النوء عِنْد الْعَرَب سُقُوط نجم من نُجُوم الْمنَازل الثَّمَانِية وَالْعِشْرين وَهُوَ مغيبه بالمغرب مَعَ طُلُوع الْفجْر وطلوع مُقَابِله حِينَئِذٍ من الْمشرق، وَعِنْدهم أَنه لابد أَن يكون مَعَ ذَلِك لأكثرها نوء من مطر أَو رِيَاح عواصف وَشبههَا، فَمنهمْ من يَجعله لذَلِك السَّاقِط، وَمِنْهُم من يَجعله للطالع؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي ناء أَي نَهَضَ، فينسبون الْمَطَر إِلَيْهِ فَنهى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عَن اعْتِقَاد ذَلِك، ينظر القاضي عياض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٣١) دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء: ٢.

تخريج الحديث: الحديث مداره على صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رفعه إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ البخاري في [1] أَبْوَاب الِاسْتِسْقَاءِ بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: ٨٢] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «شُكْرَكُمْ»، وفي [2]كِتَاب الأَذَانِ بَاب يَسْتَقْبِلُ الإِمَامُ النَّاسَ إِذَا سَلَّمَ، ومسلم في [3] كِتَاب الْإِيمَانَ بَاب بَيَانِ كُفْرِ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِالنَّوْءِ، وأبوداود في [4] كِتَاب الطِّبِّ بَاب فِي النُّجُومِ، وثلاثتهم من طريق مَالِك، والبخاري في [5] كِتَاب المَغَازِي بَاب غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ من طريق سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ و(مَالِك، سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ) عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عنه به.

السؤال المطروح: «هَلْ تَدْرونَ ماذا قال ربُّكم؟» ينبه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحابته ومن بعدهم أمته إلى ذم الله جل جلاله من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به، [6] فيضيفون النعمة في ذلك إلى غير الله عز وجل، وينسون الشكر له على ذلك، وهو المنعم عليهم بالغيث والسقيا، فزجرهم عن هذا القول وسماه كفرا، إذ كان ذلك يفضي بصاحبه إلى الكفر إذا اعتقد أن الفعل للكوكب وهو فعل الله عز وجل لا شريك له. [7]

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: قَوْلُهُ «مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» قَالَ الإمام الشَّافِعِيُّ: ((وَإِنَّمَا مُطِرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ قَوْمٍ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكُونَ لِأَنَّ هَذَا فِي غَزْوَةِ

---

(١) الصحيح (٣٣/٢) (١٠٣٨) .
(٢) الصحيح (١٦٩/١) (٨٤٦) .
(٣) الصحيح (١/ ٨٣) (١٢٥) .
(٤) السنن (١٦/٤) (٣٩٠٦) .
(٥) الصحيح (١٢١/٥) (٤١٤٧) .
(٦) ابن سعدي . القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٥٧) نشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.
(٧) الخطابي . أعلام الحديث (١/ ٥٥٤) نشر: جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.

الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَرَى مَعْنَى قَوْلِهِ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ مَنْ قَالَ «مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ» فَذَلِكَ إيمَانٌ بِاَللَّهِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُمْطِرُ وَلَا يُعْطِي إلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا عَلَى مَعْنَى مُطِرْنَا فِي وَقْتِ كَذَا فَلَا يَكُونُ كُفْرًا وَغَيْرُهُ مِنَ الْكَلَامِ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْهُ)) [١] قال ابن حجر معقبا: يَعْنِي حَسْمًا لِلْمَادَّةِ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْكُفْرِ هُنَا كُفْرَ الشِّرْكِ بِقَرِينَةِ مُقَابَلَتِهِ بِالْإِيمَانِ، [٢]وَمِنْ ذَلِكَ كَلَامُ الشَّافِعِيِّ قَالَ: ((وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا، وَكَذَا عَلَى مَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الشِّرْكِ يَعْنُونَ مِنْ إضَافَةِ الْمَطَرِ إلَى أَنَّهُ أَمْطَرَهُ نَوْءُ كَذَا فَذَلِكَ كُفْرٌ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ النَّوْءَ وَقْتٌ، وَالْوَقْتُ مَخْلُوقٌ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ، وَلَا لِغَيْرِهِ شَيْئًا، وَلَا يُمْطِرُ، وَلَا يَصْنَعُ شَيْئًا)) [٣] وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْمُرَادُ بِهِ كُفْرَ النِّعْمَةِ وَيُرْشِدُ إلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَكَفَرَ بِي أَوْ قَالَ كَفَرَ نِعْمَتِيَ». [٤]

المقصد من السؤال وثمرته: طرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤاله الذي أراد منه التحذير من ألفاظ قد يقولها المسلم تؤدي به إلى الهلاك إن صَاحبها اعتقاد فاسد، كما أراد التنبيه إلى مشروعية إلحاق النعم بالمنعم الحقيقي وهو

---

(١) الشافعي ــ الأم (١/ ٢٨٨) نشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢) ابن حجر . فتح الباري (٢/ ٥٢٣) .

(٣) الشافعي . الأم (١/ ٢٨٨) .

(٤) الحديث أخرجه معمر بن راشد بسند رواته ثقات عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي أَثَرِ سَمَاءٍ، فَقَالَ لَمَّا انْصَرَفَ: «لَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ؟ مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي نِعْمَةً إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ، فَأَمَّا مَنْ آمَنَ بِي وَحَمِدَنِي عَلَى سِقَائِي، وَأَثْنَى عَلَيَّ، فَذَلِكَ الَّذِي آمَنَ بِي وَكَفَرَ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ الَّذِي آمَنَ بِالْكَوْكَبِ وَكَفَرَ بِي – أَوْ قَالَ: كَفَرَ نِعْمَتِي» الجامع بَاب الِاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ وَالسَّمْحِ (١١/٤٥٩) (٢١٠٠٣) نشر: المجلس العلمي بباكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

الله جلا لـه وشكره عليها، وهذا أسلوب تعليمي يجمع بين التحذير والتنبيه، يطرح المعلم السؤال للتأمل والتدبر فيفطن المتعلم لما فيه من شر فيبتعد عنه وما فيه من خير فيتمسك به.

المبحث الثالث: تعلم قواعد الدين

عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ – أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ – فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ

الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»

تخريج الحديث: الحديث مداره على كَهْمَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عَنْ عبدَالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ مسلم في [١]كِتَاب الْإِيمَانَ بَاب معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، وأبوداود في [٢] كِتَاب السُّنَّةِ بَاب فِي الْقَدَرِ، وكلاهما من طريق مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، وَأَخْرَجَهُ مسلم في ذات الكتاب والباب، والترمذي في [٣] أَبْوَاب الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاب مَا جَاءَ فِي وَصْفِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِيمَانَ وَالإِسْلَامَ، وكلاهما من طريق وَكِيعٌ، وَأَخْرَجَهُ النسائي في [٤] كِتَاب الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ بَاب نَعْتِ الْإِسْلَامِ من طريق النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، و(مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، وَكِيعٌ، النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ) عن كَهْمَسٍ عنه به.

السؤال المطروح: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» المغزى توجيه عمر رضي الله عنه، ومن حضر من الصحابة رضوان الله عليهم إلى هذه الأسئلة، والتي تشمل: قواعد الدين أو كليات الدين، [٥] فالْإِيمَان وَالْإِسْلَام وَالْإِحْسَان تُسَمَّى كُلُّهَا

(١) الصحيح (٣٦/١) (١) .
(٢) السنن (٢٢٣/٤) (٤٦٩٥) .
(٣) السنن (٦/٥) (٢٦١٠) نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.
(٤) السنن (٩٧/٨) (٤٩٩٠) نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
(٥) ابن دقيق العيد . شرح الأربعين النووية (ص: ٣٢) بتصرف، نشر: مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

دِينًا، [١] ويؤكد ذلك الرواية التي ورد فيها: «ثُمَّ نَهَضَ فَوَلَّى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيَّ بِالرَّجُلِ» فَطَلَبْنَاهُ كُلَّ مَطْلَبٍ فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَنْ هَذَا؟ هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ دِينَكُمْ، خُذُوا عَنْهُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا شُبِّهَ عَلَيَّ مُنْذُ أَتَانِي قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ وَمَا عَرفته حَتَّى ولي»، [٢]وَإِسْنَادُ التَّعْلِيمِ إِلَى جِبْرِيلَ مَجَازِيٌّ لِأَنَّهُ كَانَ السَّبَبَ فِي الْجَوَابِ فَلِذَلِكَ أَمَرَ بِالْأَخْذِ عَنْهُ. [٣]

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: اشْتَمَلَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى شرح جَمِيعِ وَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، مِنْ عُقُودِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وإِخْلَاصِ السَّرَائِرِ، وَالتَّحَفُّظِ مِنْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ، حَتَّى إِنَّ عُلُومَ الشَّرِيعَةِ كُلَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ وَمُتَشَعِّبَةٌ مِنْهُ، [٤]وَيَصْلُحُ أَنْ يُقَالَ لَهُ أُمُّ السُّنَّةِ؛ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ جُمَلِ عِلْمِ السُّنَّةِ، [٥]وكما سميت الفاتحة: أم الْقُرْآنِ لما تضمنته من جمعها معاني القرآن، [٦] فبَدَأَ بِالْإِسْلَامِ لِأَنَّهُ بِالْأَمْرِ الظَّاهِرِ وَثَنَّى بِالْإِيمَانِ لِأَنَّهُ بِالْأَمْرِ الْبَاطِنِ،[٧]وأراد بالإحسان هاهنا الإخلاص، وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معًا، وذلك أن من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير نية الإخلاص

(١) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/١٦٠) .
(٢) أخرجها ابن حبان في كتاب الإيمان، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ شُعَبٌ وَأَجْزَاءٌ غير ما ذكرنا في خبر بن عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ بِحُكْمِ الْأَمِينَيْنِ مُحَمَّدٍ وَجِبْرِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، الصحيح (١/ ٣٩٧) (١٧٣) ، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، وقَالَ: ((تَفَرَّدَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ بِقَوْلِهِ « خُذُوا عَنْهُ »)) قال ابن حجر: ((وَهُوَ مِنَ الثِّقَاتِ الْأَثْبَاتِ)) فتح الباري (١/ ١٢٤) ، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (١/ ١٠٤) ، نشر: دار الصميعي، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.
(٣) ابن حجر . فتح الباري (١/ ١٢٤) .
(٤) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٠٤) .
(٥) ابن حجر . فتح الباري (١/ ١٢٥) وعزاه للْقُرْطُبِيُّ.
(٦) ابن دقيق العيد . شرح الأربعين النووية (ص: ٢٩) .
(٧) ابن حجر . فتح الباري (١/ ١١٧) .

لم يكن محسنًا، ولا كان إيمانه صحيحًا،[١]وأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ حَضَرَ مَجْلِسَ الْعَالِمِ إِذَا عَلِمَ بِأَهْلِ الْمَجْلِسِ حَاجَةً إِلَى مَسْأَلَةٍ لَا يَسْأَلُونَ عَنْهَا، أَنْ يَسْأَلَ هُوَ عَنْهَا؛ لِيَحْصُلَ الْجَوَابُ لِلْجَمِيعِ، وَفِيهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَرْفُقَ بِالسَّائِلِ وَيُدْنِيَهُ مِنْهُ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ سُؤَالِهِ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا مُنْقَبِضٍ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلسَّائِلِ أَنْ يَرْفُقَ فِي سُؤَالِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [٢]وفيه دليل على تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء والفضلاء والملوك فإن جبريل أتى معلما للناس بحاله ومقاله، [٣]وفيه ندب تنبيه العالم تلامذته على فوائد العلم وغرائب الوقائع طلباً لنفعهم وتيقظهم. [٤]

المقصد من السؤال وثمرته: التنبيه إلى أسلوب جبريل عليه السلام في التعليم، فقد أتى معلما بطرح الأسئلة، فالسُّؤَالَ الْحَسَنَ يُسَمَّى عِلْمًا، وَتَعْلِيمًا، لِأَنَّ جِبْرِيلَ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهُ سِوَى السُّؤَالِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سَمَّاهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلِّمًا، «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، وَقَدِ اشْتَهَرَ قَوْلُهُمْ: حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ، فالْفَائِدَةَ فِيهِ انْبَنَتْ عَلَى السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ مَعًا،[٥] كما أراد التنبيه إلى أمر مهم لِلْعَالِمِ وَالْمُفْتِي وَغَيْرِهِمَا إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُهُ بَلْ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى وَرَعِهِ وَتَقْوَاهُ وَوُفُورِ عِلْمِهِ، [٦] فالثمرة لها شطرين أولها: تخص السائل فينتقي الألفاظ الواضحة للسؤال، والثانية: تخص المعلم فيجيب إن كان عنده علم، أو يعتذر عن الإجابة.

(١) الطيبي شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (٢/ ٤٢٩) .
(٢) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/١٦٠) .
(٣) ابن دقيق العيد . شرح الأربعين النووية (ص: ٢٩) .
(٤) محمد الصديقي . دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ٢٢٨) .
(٥) ينظر ابن حجر . فتح الباري (١/ ١٢٥) ، وعزاه لابن الْمُنِيرِ.
(٦) ينظر النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/١٥٨) .

المبحث الرابع: العلم بحَقّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ وبحَقّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلاَثًا: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ»؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ: أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ».

تخريج الحديث: الحديث مداره على مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رفعه إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ البخاري في [1] كِتَاب الجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَاب اسْمِ الفَرَسِ وَالحِمَارِ، ومسلم في [2] كِتَاب الْإِيمَان بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، والترمذي في [3]أَبْوَاب الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الأُمَّةِ وثلاثتهم من طريق عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، وَأَخْرَجَهُ البخاري في [4]كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ بَاب مَنْ أَجَابَ بِلَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، ومسلم في [5] ذات الكتاب والباب السابق وكلاهما من طريق أَنَس بْن مَالِك، والبخاري في [6] كِتَاب التَّوْحِيدِ بَاب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومسلم في [7] ذات الكتاب والباب السابق وكلاهما من طريق الأَسْوَدَ بْنَ هِلاَلٍ وَأَخْرَجَهُ ابن ماجه في [8]كِتَاب الزُّهْدِ بَاب مَا يُرْجَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ

(١) الصحيح (٤/ ٢٩) (٢٨٥٦) .
(٢) الصحيح (٥٨/١) (٤٩) .
(٣) السنن (٥/ ٢٦) (٢٦٤٣) .
(٤) الصحيح (٦٠/٨) (٦٢٦٧) .
(٥) الصحيح (٥٨/١) (٤٨) .
(٦) الصحيح (٩/ ١١٤) (٧٣٧٣) .
(٧) الصحيح (٥٩/١) (٥٠) .
(٨) السنن (٢/ ١٤٣٥) (٤٢٩٦) ، نشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ من طريق ابْنِ أَبِي لَيْلَى و(عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، الأَسْوَدَ بْنَ هِلاَلٍ، ابْنِ أَبِي لَيْلَى) جميعهم عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به.

السؤال المطروح: بدأ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتَكْرَار نداء مُعَاذ ثلاثًا؛ ليستحضرَ ذهنَهُ وفهمه، ولِيُشعِرَه بِعِظَمِ ما يلقيه عليه، [١] ثم سأله النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ» ؟، «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ»؟

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: حقُّ الله على عباده: قيل هو: مَا يَسْتَحِقُّهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِمَّا جَعَلَهُ مُحَتَّمًا عَلَيْهِم، [٢] وقيل: ما أوجبَهُ عليهم بحُكمه، وألزمهم إيّاه بخطابه. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ: هو مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ؛ فَحُقَّ ذَلِكَ وَوَجَبَ بِحُكْمِ وَعْدِهِ الصِّدْقِ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْكَذِبُ فِي الْخَبَرِ، وَلَا الْخُلْفُ فِي الْوَعْدِ؛ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ بِحُكْمِ الْأَمْرِ؛ إِذْ لَا آمِرَ فَوْقَهُ، وَلَا بحُكْم العَقْل؛ إِذ العقلُ كَاشِفٌ لَا مُوجِبٌ، [٣]فحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ حَقًّا عُلِمَ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ لَا بِإِيجَابِ الْعقل فَهُوَ كالواجب فِي تحقق وُقُوعِهِ، الثَّابِتُ أَوِ الْجَدِيرُ ؛ لِأَنَّ إِحْسَانَ الرَّبِّ لِمَنْ لَمْ يَتَّخِذْ رَبًّا سِوَاهُ جَدِيرٌ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُ، أَوْ ذُكِرَ عَلَى سَبِيلِ الْمُقَابَلَةِ وَالْمُشَاكَلَةِ منه للفظ الأول لأنه قال في أوله: «مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ»، ولا شك أن لله على عباده حقاً، فأَتْبعَ اللفظ الثاني الأول، [٤]وقَوْلُهُ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » الْمُرَادُ بِالْعِبَادَةِ عَمَلُ الطَّاعَاتِ، وَاجْتِنَابُ الْمَعَاصِي، وَعَطَفَ عَلَيْهَا عَدَمَ الشِّرْكِ؛ لِأَنَّهُ تَمَامُ التَّوْحِيدِ، وَالْحِكْمَةُ فِي عَطْفِهِ عَلَى الْعِبَادَةِ؛

(١) القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٠٣) نشر: (دار ابن كثير، دمشق – بيروت) .

(٢) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ٢٣١) ، ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٣٩) .

(٣) القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٠٣) .

(٤) المازري . المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٩٠) نشر: الدار التونسية للنشر، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م، ابن حجر . فتح الباري (١٣/ ٣٥٥) بتصرف.

أَنَّ بَعْضَ الْكَفَرَةِ كَانُوا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى، فَاشْتَرَطَ نَفْيَ ذَلِكَ،(١)وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ رُكُوبِ اثْنَيْنِ عَلَى حِمَارٍ، وَفِيهِ تَوَاضُعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (٢) وَفَضْلُ مُعَاذٍ وَحُسْنُ أَدَبِهِ فِي الْقَوْلِ، وَفِي الْعِلْمِ؛ بِرَدِّهِ لِمَا لَمْ يُحِطْ بِحَقِيقَتِهِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقُرْبِ مَنْزِلَتِهِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (٣)

المقصد من السؤال وثمرته: كرر النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السؤال ثلاثا، لينبه على أهمية ما يُخبر به، ويستفسر عن علم معاذ رضي الله عنه في هذه المسألة، واسْتِفْسَارُ الشَّيْخِ تِلْمِيذَهُ عَنِ الْحُكْمِ؛ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنَ لَهُ مَا يُشْكِلُ عَلَيْهِ مِنْهُ، (٤)فيؤخذ منه تكرار السؤال ؛ للتنبيه على أهمية ما سيُلقى عليه، وقد يكون السؤال للاستعلام والاختبار عن علمه في أمر ما، فإما أن يصحح له أو يكمل له النقص، وهذا مثمر في التعليم.

المبحث الخامس: مَشْرُوعِيَّةُ كِتَابَةِ دَوَاوِينِ الْجُيُوشِ

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اكْتُبُوا لِي مَنْ تَلَفَّظَ بِالإِسْلاَمِ مِنَ النَّاسِ»، فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةِ رَجُلٍ، فَقُلْنَا: نَخَافُ وَنَحْنُ أَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ!، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا ابْتُلِينَا، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَحْدَهُ وَهُوَ خَائِفٌ. حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ فَوَجَدْنَاهُمْ خَمْسَ مِائَةٍ. قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: مَا بَيْنَ سِتِّ مِائَةٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ.

تخريج الحديث: الحديث مداره على الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ البخاري

(١) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٣٩) .
(٢) القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٠٣) ، ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٤٠) .
(٣) المُظْهِري . المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ١١٢- ١١٣) نشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م، ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٤٠) .
(٤) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٤٠) .

في [١] كِتَاب الجِهَادِ وَالسِّيَرِ بَاب كِتَابَةِ الإِمَامِ النَّاسَ من طريق سُفْيَان الثَّوْرِيّ، ومسلم في [٢] كِتَاب الْإِيمَان بَاب الِاسْتِسْرَارِ لِلْخَائِفِ، وابن ماجه في [٣]كِتَاب الْفِتَنِ بَاب الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وكلاهما من طريق أَبِي مُعَاوِيَة و (سُفْيَان، أبو مُعَاوِيَة) عن الْأَعْمَشِ عنه به.

السؤال المطروح: عند البخاري «اكْتُبُوا لِي مَنْ تَلَفَّظَ بالإِسْلَامِ مِنَ النَّاسِ»، وعند مسلم «أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ» أَحْصُوا بَدَلَ اكْتُبُوا وَهِيَ أَعَمُّ مِنَ اكْتُبُوا وَقد يُفَسر أَحْصُوا باكْتُبُوا، [٤] و «كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ» هُوَ بِفَتْحِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتُ، وَالْإِسْلَامُ مَنْصُوبٌ مَفْعُولُ، «يَلْفِظُ» بِإِسْقَاطِ حَرْفِ الْجَرِّ، أَيْ: يَلْفِظُ بِالْإِسْلَامِ وَمَعْنَاهُ، كَمْ عَدَدُ مَنْ يَتَلَفَّظُ بِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ؟ وَكَمْ هُنَا اسْتِفْهَامِيَّةٌ، وَمُفَسِّرُهَا مَحْذُوفٌ، وَتَقْدِيرُهُ كَمْ شَخْصًا يَلْفِظُ بِالْإِسْلَامِ. [٥]

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه:((فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةِ رَجُلٍ))، وفي رواية ((فَوَجَدْنَاهُمْ خَمْسَمِائَةٍ))، وعند مسلم: ((فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ؟)) وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةِ الْمُرَادُ بِهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ وَالرِّجَالُ، وَيَكُونُ قَوْلُهُمْ سِتُّمِائَةٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ الرِّجَالُ خَاصَّةً، وَيَكُونُ خَمْسُمِائَةٍ الْمُرَادُ بِهِ الْمُقَاتِلُونَ، والقول الأخير رده النووي لما صُرح به عند البخاري، فقال: وَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُقَالَ لَعَلَّهُمْ أَرَادُوا بِقَوْلِهِمْ مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ رِجَالُ الْمَدِينَةِ خَاصَّةً وَبِقَوْلِهِمْ فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسمِائَةٍ هُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حَوْلَهُمْ. [٦]

(١) الصحيح (٤/ ٧٢) (٣٠٦٠) .
(٢) الصحيح (١٣١/١) (٢٣٥) .
(٣) السنن (٢/ ١٣٣٦) (٤٠٢٩) .
(٤) ابن حجر . فتح الباري (٦/ ١٧٨) .
(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧٩/٢) .
(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧٩/٢) .

((فَقُلْنَا نَخَافُ)) هُوَ اسْتِفْهَامُ تَعَجُّبٍ وَحُذِفَتْ مِنْهُ أَدَاةُ الِاسْتِفْهَامِ وَهِيَ مُقَدَّرَةٌ، [١] وفي رواية مسلم قَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا»، وَكَأَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ عِنْدَ تَرَقُّبِ مَا يُخَافُ، مِنْهُ وَلَعَلَّهُ كَانَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ إِلَى أُحُدٍ أَوْ غَيْرِهَا، وجَزْمَ بن التِّينِ بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ حَفْرِ الْخَنْدَقِ،[٢] وَحَكَى الدَّاوُدِيُّ احْتِمَالَ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَمَّا كَانُوا بِالْحُدَيْبِيَةِ؛ لِأَنَّهُ قَدِ اخْتَلَفَ فِي عَدَدِهِمْ هَلْ كَانُوا أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ أَوْ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، [٣]وفي قول حُذَيْفَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ((فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا ابْتُلِينَا، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَحْدَهُ وَهُوَ خَائِفٌ)) قال النووي: فَلَعَلَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْفِتَنِ التي جرت بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يُخْفِي نَفْسَهُ وَيُصَلِّي سِرًّا مَخَافَةً مِنَ الظُّهُورِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي الدُّخُولِ فِي الْفِتْنَةِ وَالْحُرُوبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ،[٤] وَفِي ذَلِكَ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالشَّيْءِ قَبْلَ وُقُوعِهِ وَقَدْ وَقَعَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ وَغَيْرِهِ، [٥]وَفِي الْحَدِيثِ مَشْرُوعِيَّةُ كِتَابَةِ دَوَاوِينِ الْجُيُوشِ، وَقَدْ يَتَعَيَّنُ ذَلِكَ ذَلِكَ عِنْدَ الِاحْتِيَاجِ إِلَى تَمْيِيزِ مَنْ يَصْلُحُ لِلْمُقَاتَلَةِ بِمَنْ لَا يَصْلُحُ،[٦] وَفِيهِ وُقُوعُ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْإِعْجَابِ بِالْكَثْرَةِ وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾[التوبة: ٢٥] [٧]وَقَالَ بن الْمُنِيرِ: مَوْضِعُ

(١) ابن حجر . فتح الباري (٦/ ١٧٨) .
(٢) ابن حجر . فتح الباري (٦/ ١٧٨) .
(٣) ابن الملقن . التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/ ٣٠١) نشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، الدماميني . مصابيح الجامع (٦/ ٣٨٨) نشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ابن حجر . فتح الباري (٦/ ١٧٨) .
(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٨٠/٢) .
(٥) ابن حجر . فتح الباري (٦/ ١٧٨) .
(٦) ابن حجر . فتح الباري (٦/ ١٧٨) .
(٧) ابن بطال . شرح صحيح البخاري (٥/ ٢٢١) ، ابن حجر . فتح الباري (٦/ ١٧٨) .

التَّرْجَمَةِ مِنَ الْفِقْهِ أَنْ لَا يَتَخَيَّلَ أَنَّ كِتَابَةَ الْجَيْشِ وَإِحْصَاءَ عَدَدِهِ يَكُونُ ذَرِيعَةً لِارْتِفَاعِ الْبَرَكَةِ بَلِ الْكِتَابَةُ الْمَأْمُورُ بِهَا لِمَصْلَحَةٍ دِينِيَّةٍ وَالْمُؤَاخَذَةُ الَّتِي وَقَعَتْ فِي حُنَيْنٍ كَانَتْ مِنْ جِهَةِ الْإِعْجَابِ. (١)

المقصد من السؤال وثمرته: التنبيه إلى مشروعية حصر الإمام عدد المسلمين؛ ليعلم من يستطيع القتال معه ومن لا يستطيع؛ فيكون على بينة عند الحاجة .

المبحث السادس: مشروعية الدُّعَاءِ باسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا . يَعْنِي . وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»

تخريج الحديث: الحديث مداره على أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رفعه إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ أبوداود في (٢)بَاب تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْوِتْرِ بَاب الدُّعَاءِ وَالنَّسَائِيُّ في (٣) الذِّكْر بَعْدَ التَّشَهُّدِ بَاب الدُّعَاءِ بَعْدَ الذِّكْرِ، كلاهما من طريق حَفْصِ بْنُ عُمَرَ بن عبد الله بن أبي طلحة ابْنَ أَخِي أَنَسٍ لأمه، وَأَخْرَجَهُ الترمذي في (٤) أَبْوَاب الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طريق عَاصِمٍ الأَحْوَلِ، وَثَابِتٍ بن أسلم البناني، وَأَخْرَجَهُ ابن ماجه في (٥) كِتَاب الدُّعَاءِ بَاب اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ من طريق أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ،

(١) ابن حجر . فتح الباري (٦/ ١٧٨) .
(٢) السنن (٢/ ٧٩) (١٤٩٥) .
(٣) السنن (٥٢/٣) (١٣٠٠) .
(٤) السنن (٥٥٠/٥) (٣٥٤٤) .
(٥) السنن (٢/ ١٢٦٨) (٣٨٥٨) .

و(عَاصِمٍ الأَحْوَلِ، ثَابِتٍ بن أسلم البناني، حَفْصُ بْنُ عُمَرَ ، أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ) عن أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللهُ به.

الحكم على سند الحديث: أَخْرَجَهُ أبو داود بسند حسن يتقوى إلى الصحيح لغيره ببقية الطرق وأولها طريق ابن ماجه فهو أحسنها، فيه خلف بن خليفة الأشجعي، قال ابن حجر: ((صدوق اختلط في الآخر))، [١]وفيه عبد الرحمن بن عبيد الله بن حكيم الأسدي، قال ابن حجر: ((صدوق، وقال أبو حاتم كان يفهم))، [٢]وسند ابن ماجه رجاله كلهم ثقات سوى أبي خزيمة العبدي، قال ابن حجر: ((وقيل صالح صدوق)) [٣]، وصححه الألباني. [٤]

السؤال المطروح: «تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» السؤال فيه تنبيه واستثاره لأفهامهم حتى يقفوا على اسم عظيم من أسماء الله الحسنى، فالْأَعْظَمِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَخْبَارِ إنما يرَادُ بِهَا مَزِيدُ ثَوَابِ الدَّاعِي بِذَلِكَ. [٥]

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: إِنَّ النُّصُوصَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ أَسْمَائِهِ جل جلاله أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَلِهَذَا يُقَالُ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ صِفَاتِهِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَبَعْضُ أَفْعَالِهِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، [٦] ومع تعدد الأحاديث التي ورد فيها اسم الله جل جلاله الأعظم، كحديث بريدة،

(١) تقريب التهذيب (ص: ١٩٤) تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ١.
(٢) تقريب التهذيب (ص: ٣٤٦) .
(٣) تقريب التهذيب (ص: ٦٣٦) .
(٤) موسوعة الألباني في العقيدة (٣/ ٥٩٧) نشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية صنعاء – اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.
(٥) محمد الصنعاني . التحبير لإيضاح معاني التيسير (٤/ ٥٤) ، نشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض – المملكة الْعَرَبِيَّة السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م بتصرف يسير.
(٦) ابن تيمية . مجموع الفتاوى (١٧/ ٩١) نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

[١] وغيره، يحتمل تعدد اسمه جل جلاله الأعظم، [٢] والحديث فيهَ التَّرْغِيب فِي الدُّعَاء بهذه الأسماء ومحبة الله لَها، فمن أسماء الله جل جلاله المنان أي: المُنعم المُعطي، من المن وهو العطاء، لا من المنّة، [٣]«بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي: مبدعهما على غير مثال سبق، «ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أي: صاحب العظمة، وقيل: هو التقديس والتنزيه عن كل ما لا يليق به، صاحب الكرم والجود والإحسان، «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ» الحي الذي له الحياة الكاملة التي لا بداية لها ولا نهاية، وكل حي فحياته مكتسبة، وهي من الله عز وجل، القيوم هو: القائم بنفسه المقيم لغيره. [٤]

المقصد من السؤال وثمرته: نبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا السؤال إلى دعاء الرجل، وهذا فيه التنبيه إلى عمل الأقران إن كان فيه خير ؛ ليُقتدى بهم بطريقة مرغبة، كالدلالة على ثمرة العمل دون اثارة ضغائن .

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن بسنده في أَبْوَاب الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاب جَامِعِ الدَّعَوَاتِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،عن بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، قَالَ: فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى» (٥/ ٥١٥) (٣٤٧٥)

وابن اجه، السنن كِتَابُ الدُّعَاءِ بَابُ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ (٢/ ١٢٦٧) (٣٨٥٧) وصححه الألباني.

(٢) محمد الصنعاني . التحبير لإيضاح معاني التيسير (٤/ ٥٤) .

(٣) العيني . شرح سنن أبي داود (٥/ ٤٠٧) ، نشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.

(٤) العباد . شرح سنن أبي داود (١٧٩/ ٧) ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

المبحث السابع: فَضْلِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»

تخريج الحديث: الحديث مداره على سعيد بن إياس الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي السَّلِيلِ ضُرَيْبُ بْنُ نُقَيْرٍ القيسي، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رفعه إلى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخرجه مسلم في [١]كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا بَاب فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ من طريق أَبي بَكْرِ بْن أَبِي شَيْبَةَ، وأخرجه أبو داود في [٢]كِتَاب بَاب ما جاء في آيَةِ الْكُرْسِيِّ من طريق محمدُ بنُ المثنى، و(أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، محمدُ بنُ المثنى) كلاهما عن سعيد بن إياس الْجُرَيْرِيِّ عنه به.

السؤال المطروح: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»، سؤال امتحان؛ ليعلم مدى درايتَه بما سأله، وأجابه حين كرَّر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه السؤال، [٣]أو قد يكون من قبيل ما لم يُنتبه للسؤال عنه، فيكون تعليم له ولغيره، [٤] وقد يكون ما علم أولاً، وأحال علمه إلي الله وإلي رسوله، فشرح الله صدره بقذف النور وأعلمه، فأجاب بما أجاب، فلذلك هناه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». [٥]

(١) الصحيح (١/ ٥٥٦) (٢٥٨) .
(٢) السنن (٢/ ٧٢) (١٤٦٠) .
(٣) ابن الملك . شرح المصابيح (٣/ ٢٠) بتصرف.
(٤) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٧٨) بتصرف.
(٥) الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (٥/ ١٦٤٣) .

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» وهذا تلطُّفٌ منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليتمكَّن العلمُ في صدره، ثم دعا له بتيسير العلم ورسوخه فيه، [١] وإخبارٌ بأنه عالم،[٢] وهذه مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِأُبَيٍّ[٣]، وَدَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ عِلْمِهِ، وتَبْجِيلُ الْعَالِمِ فُضَلَاءَ أَصْحَابِهِ وَتَكْنِيَتُهُمْ، وَجَوَازُ مَدْحِ الْإِنْسَانِ فِي وَجْهِهِ إِذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ، وَلَمْ يُخَفْ عَلَيْهِ إِعْجَابٌ وَنَحْوُهُ؛ لِكَمَالِ نَفْسِهِ وَرُسُوخِهِ فِي التَّقْوَى. [٤]

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِيهِ حُجَّةٌ لِلْقَوْلِ بِجَوَازِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْقُرْآنِ عَلَى بَعْضٍ، وَتَفْضِيلِهِ عَلَى سَائِرِ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى، [٥]وتَمَيَّزَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ بِكَوْنِهَا أَعْظَمَ لِمَا جَمَعَتْ مِنْ أُصُولِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ والوحدانية وَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَهَذِهِ السَّبْعَةُ أُصُولُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.[٦]

المقصد من السؤال وثمرته: سؤال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتنبيه إلى أمر عظيم، وهو فضل آيَةِ الْكُرْسِيِّ، فللمعلم أن يطرح سؤاله ليختبر به، ويعرف مدى علم المسؤول بالأمر، ومن ثَم مدحه والثناء عليه إن كان في ذلك مصلحة له أو لغيره، ولم يخف عليه إعجاب ونحوه.

(١) ابن الملك . شرح المصابيح (٣/ ٢٠) .
(٢) المظهري . المفاتيح في شرح المصابيح (٣/ ٧٤) .
(٣) ويكفيه شرفا وفخرا قول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ القُرْآنَ» قَالَ أُبَيٌّ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ سَمَّاكَ لِي» فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي، قَالَ قَتَادَةُ: فَأُنْبِئْتُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ [البينة: ١]، أخرجه البخاري في الصحيح، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ بَابُ {كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} (٦/ ١٧٥) (٤٩٦٠) .
(٤) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ٩٣) .
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٧٧) .
(٦) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ٩٤) .

الفصل الثاني: فصل الأمور الغيبية

المبحث الأول: الثبات عَلَى الْإِسْلَامِ من أسباب شَّفَاعَة رَسُول اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا خَيَّرَنِي رَبِّيَ اللَّيْلَةَ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «هِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

تخريج الحديث: الحديث ورد الاستفسار فيه في طريق ابن ماجه، مداره على عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ، أَخْرَجَهُ الترمذي في [1] أَبْوَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طريق أَبِي المَلِيحِ، ولفظه عنده «أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً» وابن ماجه في [2] كِتَاب الزُّهْدِ بَاب ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ من طريق سُلَيْمَ بْنَ عَامِرٍ، و (أَبِو المَلِيحِ، سُلَيْمَ بْنَ عَامِرٍ) عن عَوْف بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ، به.

الحكم على سند الحديث: كلا الطريقين صحيحة، ورجالهما ثقات.

السؤال المطروح: «أَتَدْرُونَ مَا خَيَّرَنِي رَبِّيَ اللَّيْلَةَ؟» ومِثْلُ هَذَا السُّؤَالِ لِلتَّشْوِيقِ إِلَى الْجَوَابِ؛ حَتَّى يَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِمْ. [3]

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: أتى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَكٌ عَظِيمٌ، أو هو النفث في الروع، وهو ما يلقيه الله إلى نبيه إلهاما، [4] يخيره بين

---

(١) السنن (٦٢٧/٤) (٢٤٤١) .

(٢) السنن (١٤٤٤/٢) (٤٣١٧) .

(٣) السندي . كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه (٥٨٦/٢) نشر: دار الجيل – بيروت، بدون طبعة، (نفس صفحات دار الفكر، الطبعة – الثانية) .

(٤) قد يكون المَلَك جبريل عليه السلام وقد يكون غيره، ينظر المناوي . فيض القدير (١/ ١٠٣) نشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦، عدد =

بين أمرين، بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّة الإجابة الْجَنَّةَ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَار الشّفَاعَةَ، والشَّفَاعَة هِيَ: السُّؤالُ فِي التَّجاوُزِ عَنِ الذُّنُوبِ والجَرائِمِ، [١]وقيل : الشفاعة وصلة بين الشفيع والمشفوع عنده، وقيل: الشفاعة الانضمام إلى آخر ناصرا له، وأكثر ما يستعمل في انضمام الأدنى إلى الأعلى، [٢] فَاخْتَار النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشّفَاعَةَ؛ لِاحْتِيَاجِ أَكْثَرِهِمْ إِلَيْهَا، [٣] ولعمومها إِذْ بهَا يدخلهَا وَلَو بعد دُخُول النَّار كل من مَاتَ مُؤمنا لَا يُشْرك بِاللَّه شَيْئا، وَيشْهد برسالة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَعُمُّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ وَغَيْرَهُمْ، حَتَّى لِأَهْلِ الطَّاعَةِ فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ. [٤]

. هذا الْحَدِيث متضمن لكرامة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ربه، وأفضاله على أمته، ووفور شفقة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم. [٥]، فالْمَقْصُودُ مِنَ الْحَدِيثِ الثبات عَلَى الْإِسْلَامِ عَلَى الدَّوَامِ حَتَّى تَنَالُوا الشَّفَاعَةَ، وَالْمُرَادُ بِالْإِسْلَامِ هُوَ هَذَا الدِّينُ بَلِ الْإِيمَانُ لَا مُجَرَّدُ إِظْهَارِ الْأَرْكَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [٦]

=

الأجزاء: ٦، علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٥٦٨) نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.

(١) ابن منظور . لسان العرب (٨/ ١٨٤) .

(٢) المناوي . التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٠٥) نشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

(٣) علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٩٦) .

(٤) المناوي . فيض القدير (١/ ١٠٣) ، السندي . كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه (٢/ ٥٨٣) بتصرف.

(٥) المناوي . فيض القدير (١/ ١٠٣) .

(٦) السندي . كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه (٢/٥٨٦) بتصرف يسير.

المقصد من السؤال وثمرته: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينبه أمته إلى شدة حرصه عليهم، ولضرورة الثبات على الدين؛ باستثارة انتباههم، فللمعلم أن يطرح سؤاله ويعرضه بطريقة مشوقة؛ ليتنبه السامع ويرعيه اهتمامه.

المبحث الثاني: الاستقامة عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَطلب القرب من اللَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ بِقَدْرِ الطاقة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ؟» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ اليُمْنَى: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»

تخريج الحديث: الحديث مداره على اللَّيْث، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ، عَنْ شُفَيِّ بْنِ مَاتِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ مرفوعا إلى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ الترمذي في [1]أَبْوَاب الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاب مَا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ عن قُتَيْبَة عن اللَّيْث عنه به.

(١) السنن (٤/٤٤٩) (٢١٤١) .

الحكم على سند الحديث: أَخْرَجَهُ الترمذي بسند حسن فيه حُيَيُّ بْنُ هَانِئٍ أَبُو قَبِيلٍ، قال ابن حجر: ((صَدُوقٌ يَهِمُ)) [١]، وفيه شُفَيٍّ بْنِ مَاتِعٍ قَالَ ابن حجر: ((ثِقَةٌ مِنَ الثَّالِثَةِ أَرْسَلَ حَدِيثًا فَذَكَرَهُ بَعْضُهُمْ فِي الصَّحَابَةِ خَطَأً)). [٢]

السؤال المطروح: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ؟» الظَّاهِرُ مِنَ الْإِشَارَةِ أَنَّهُمَا حِسِّيَّانِ، وَقِيلَ: تَمْثِيلٌ وَاسْتِحْضَارٌ لِلْمَعْنَى الدَّقِيقِ الْخَفِيِّ فِي مُشَاهَدَةِ السَّامِعِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ رَأْيَ الْعَيْنِ، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كُوشِفَ لَهُ بِحَقِيقَةِ هَذَا الْأَمْرِ، وَأَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ اطِّلَاعًا لَمْ يَبْقَ مَعَهُ خَفَاءُ، صُوَرِ الشَّيْءِ الْحَاصِلِ فِي قَلْبِهِ بِصُورَةِ الشَّيْءِ الْحَاصِلِ فِي يَدِهِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ إِشَارَةً إِلَى الْمَحْسُوسِ. [٣]

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: قالوا: «لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا» الِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ، أَيْ لا نعلم، ولَكِنْ إذا أَخْبَرْتَنَا عَلِمْنَا وَكَأَنَّهُمْ طَلَبُوا بِهَذَا الِاسْتِدْرَاكِ إِخْبَارَهُ إِيَّاهُمْ، ويجوز أن يكون اسْتِثْنَاءٌ مُفَرَّغٌ أَيْ لَا نَعْلَمُ بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ إِلَّا إِخْبَارُكَ إِيَّانَا، [٤]«هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ» خص ذكر رَبِّ العَالَمِينَ من بين الأسماء، دَلَالَةً وتنبيها عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى مَالِكُهُمْ، وَهُمْ لَهُ مَمْلُوكُونَ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ، فَيُسْعِدُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُشْقِي مَنْ يَشَاءُ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَدْلٌ وَصَوَابٌ فَلَا اعْتِرَاضَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا كَلَامٌ صَادِرٌ عَلَى طَرِيقِ التَّصْوِيرِ وَالتَّمْثِيلِ مِثْلُ الثَّابِتِ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَوِ الْمُثْبَتِ فِي اللَّوْحِ بِالْمُثْبَتِ بِالْكِتَابِ الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ وَلَا يُسْتَبْعَدُ إِجْرَاؤُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَعِدٌّ لِإِدْرَاكِ الْمَعَانِي الْغَيْبِيَّةِ وَمُشَاهَدَةِ الصُّوَرِ الْمَصُوغَةِ لَهَا، «فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ،

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ١٨٥) .
(٢) تقريب التهذيب (ص: ٢٦٨) .
(٣) ذكرها الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (٢/ ٥٥٨- ٥٥٩) ، واختصرها علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٧١) .
(٤) الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (٢/ ٥٥٩) ، علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٧٢) .

وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ» الظَّاهِرُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ يُكْتَبُ أَسْمَاؤُهُمْ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ سَوَاءٌ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ لِلتَّمْيِيزِ التَّامِّ كَمَا يُكْتَبُ فِي الصُّكُوكِ «ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا» مِنْ قَوْلِهِمْ : أَجْمَلَ الْحِسَابَ إِذَا تَمَّمَ وَرَدَّ التَّفْصِيلَ إِلَى الْإِجْمَالِ، وَأَثْبَتَ فِي آخِرِ الْوَرَقَةِ مَجْمُوعَ ذَلِكَ وَجُمْلَتُهُ كَمَا هُوَ عَادَةُ الْمُحَاسِبِينَ أَنْ يَكْتُبُوا الْأَشْيَاءَ مُفَصَّلَةً، ثُمَّ يُوَقِّعُوا فِي آخِرِهَا فَذْلَكَةً[1] تَرُدُّ التَّفْصِيلَ إِلَى الْإِجْمَالِ، وَضَمَّنَ أَجْمَلَ مَعْنَى أَوْقَعَ فَعُدِّيَ بِعَلَى أَيْ أَوْقَعَ الْإِجْمَالَ عَلَى مَنِ انْتَهَى إِلَيْهِ التَّفْصِيلُ، وَقِيلَ: ضَرَبَ بِالْإِجْمَالِ عَلَى آخِرِ التَّفْصِيلِ، أَيْ: كَتَبَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا أَيْ أَجْمَلَ فِي حَالِ انْتِهَاءِ التَّفْصِيلِ إِلَى آخِرِهِمْ فَعَلَى بِمَعْنَى إِلَى، «فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا »جَزَاءُ شَرْطٍ أَيْ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَقَرَّرَ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّعْيِينِ وَالْإِجْمَالِ بَعْدَ التَّفْصِيلِ فِي الصَّكِّ «فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا » لِأَنَّ حُكْمَ اللَّهِ لَا يَتَغَيَّرُ. [2]

ـ إن الْفَاسِقُ مَسْكُوتٌ عَنْهُ كَمَا هُوَ دَأْبُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ فِي جَمِيعِ الْأَحْكَامِ الْوَعْدِيَّةِ، وَالْوَعِيدِيَّةِ، لِيَكُونَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ رَاضِيًا بِمَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَضَاءِ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ مَآلَهُ إِلَيْهَا، وَإِنْ دَخَلَ النَّارَ فَإِنَّ الْخَاتِمَةَ هِيَ الْمَدَارُ عَلَيْهَا. [3]

«سَدِّدُوا وَقَارِبُوا» أَيِ: اجْعَلُوا أَعْمَالَكُمْ مُسْتَقِيمَةً عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، «وَقَارِبُوا» أَيِ: اطْلُبُوا قُرْبَةَ اللَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ بِقَدْرِ مَا تُطِيقُونَهُ، وهذا الْجَوَابُ مِنْ أُسْلُوبِ الْحَكِيمِ؛ أَيْ: فِيمَ أَنْتُمْ مِنْ ذِكْرِ الْقَدَرِ وَالِاحْتِجَاجِ بِهِ، وَإِنَّمَا خُلِقْتُمْ

---

(١) هِي كَلِمَةٌ مُخْتَرَعَةٌ من قُولِه أَي: الحاسِبِ إذا أَجْمَلَ حِسابَه: فذلِكَ كَذَا وكَذَا عدَداً، وكَذا وكَذا قَفِيزاً، وَهِي مِثْلُ قولِهم: فَهْرَسَ الأبْوابَ فَهْرَسَةً، الفَذْلَكَة: جُمْلَةُ عَدَد قد فُصِّلَ، ينظر الزبيدي . تاج العروس (٢٧/ ٢٩٣) ، لمجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية.

(٢) الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (٢/ ٥٥٩) ، علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٧٢) .

(٣) علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٧٣) .

لِلْعِبَادَةِ فَاعْمَلُوا، وَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، [١]وقال ابن حجر: ((فَسَدِّدُوا أَيِ الْزَمُوا السَّدَادَ وَهُوَ الصَّوَابُ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: السَّدَادُ التَّوَسُّطُ فِي الْعَمَلِ، وَقَارِبُوا أَيْ إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا الْأَخْذَ بِالْأَكْمَلِ فَاعْمَلُوا بِمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ))،[٢] وهذا هو المقصد الأساسي من الحديث هو التوجيه للعمل الصالح.

«فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ»، أَيْ: بِعَمَلٍ مُشْعِرٌ بِإِيمَانِهِ، وَمُشِيرٌ بِإِيقَانِهِ، وَلَوْ عَمِلَ قَبْلَ ذَلِكَ أَيَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ ، «وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»: أَعَمُّ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْمَعَاصِي وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ أَيْ: قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» فَنَبَذَهُمَا أَيْ: طَرَحَ مَا فِيهِمَا مِنَ الْكِتَابَيْنِ؛ قِيلَ: وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَ نَبْذَهُمَا لَيْسَ بِطَرِيقِ الْإِهَانَةِ، بَلْ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ نَبَذَهُمَا إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ، ثُمَّ هَذَا كُلُّهُ إِذَا كَانَ هُنَاكَ كِتَابٌ حَقِيقِيٌّ، وَأَمَّا عَلَى التَّمْثِيلِ فَيَكُونُ الْمَعْنَى نَبَذَهُمَا أَيِ: الْيَدَيْنِ، كِنَايَةٌ عَنْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَصَارَ كَمَا تُخَلِّفُهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا اسْتِشْهَادًا مِنَ الْقُرْآنِ، وَاعْتِضَادًا بِالْفُرْقَانِ عَلَى أَنَّ أَمْرَ الْفَرِيقَيْنِ مُبْهَمٌ عِنْدَنَا وَمُجْمَلٌ، وَمَعْلُومٌ عِنْدَهُ تَعَالَى وَمُفَصَّلٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُوَافَقَةً لَفْظِيَّةً، وَمُطَابَقَةً مَعْنَوِيَّةً بِنَوْعٍ مِنَ الِاقْتِبَاسَاتِ الْحِكَمِيَّةِ، وَالتَّضَمُّنَاتِ بِالْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. [٣]

المقصد من السؤال وثمرته: سؤال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا اقترن بتمثيل؛ لتقريب الصورة، فللمعلم طرح الأسئلة الحسية المقرونة بالتمثيل ؛ لاستحضار الصورة في ذهن السامع وتقريب المعنى المراد.

(١) الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (٢/ ٥٦٠) .
(٢) فتح الباري (١/ ٩٥) .
(٣) الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (٢/ ٥٦١) ، علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٣٧ . ١٤٧) .

المبحث الثالث: مقدار عمق نار جهنم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، [1]فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»

تخريج الحديث: الحديث مداره على خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ يَزِيدُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ مسلم في [2] كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا بَاب فِي شِدَّةِ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ وَبُعْدِ قَعْرِهَا وَمَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ، من طريق يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ عن خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ عنه به.

السؤال المطروح: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» أسمع الله عز وجل رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن حضر معه من أصحابه وَجْبَة: وقوع هذا الحجر في النار، [3] فهو يسألهم هل تدرون ما هذا الصوت؟

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: سُمِع هذا الصوت؛ ليجري على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر مقدار عمق جهنم، وأنها مسيرة سبعين سنة للحجر الذي يهوي به في هذا الهبوط على سرعة تشابه سرعة النجم، والله تعالى يرحمنا بإعاذتنا من هذه النار، [4] وفي الحديث دليل على أنهم حين

(١) وجْبَة، وسمعتم وجْبتها بِسُكُون الْجِيم هِيَ صَوت الْوَقْعَة، والهدة، وَقيل: مَعْنَاهُ سُقُوطهَا، من قوله تعالى ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الحج: ٣٦]، القاضي عياض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٨٠) .

(٢) الصحيح (٤/ ٢١٨٤) (٢٨٤٤) .

(٣) يحيى بن هُبَيْرَة. الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٤٠) ، سنة النشر: ١٤١٧هـ، عدد الأجزاء: ٨ .

(٤) يحيى بن هُبَيْرَة. الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٤٠) .

سمعوا الوجبة خرق الله عز وجل لهم العادة، فسمعوا ما مُنِعه غيرهم، وإلا فالعادة تقتضي مشاركة غيرهم في سماع هذا الأمر العظيم، وفيه دليل على أن النار قد خُلقت وأُعد فيها ما شاء الله مما يعذب به من يشاء، وهو مذهب أهل السنة خلافا للمبتدعة. (١)

المقصد من السؤال وثمرته: استثمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحدث؛ ليوقفهم على شدة النار وحرها وعمق جهنم والعياذ بالله من ذلك، فللمعلم أن يستثمر الأحداث في التعليم والبيان، وهذا أجدى وأنفع لتوصيل المعلومة.

المبحث الرابع: نهر الْكَوْثَر من الْخَيْرِ الْكَثِيرِ الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٢] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ»

تخريج الحديث: الحديث مداره على الْمُخْتَارُ بْنُ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رفعه إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ مسلم في (٢) كِتَاب الصَّلَاةِ بَاب حُجَّةِ مَنْ قَالَ: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَةٌ، والنسائي في (٣) كِتَاب الِافْتِتَاحِ قِرَاءَة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، وكلاهما

(١) القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ١٨٨) .
(٢) الصحيح (١/ ٣٠٠) (٤٠٠) .
(٣) السنن (١٣٣/٢) (٩٠٤) .

من طريق عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، وأبوداود في [١] أَبْوَاب تَفْرِيعِ اسْتِفْتَاحِ الصَّلَاةِ بَاب مَنْ لَمْ يَرَ الْجَهْرَ بِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وفي [٢] كِتَاب السُّنَّةِ بَاب فِي الْحَوْضِ من طريق مُحَمَّد بْنُ فُضَيْلٍ و(عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، مُحَمَّد بْنُ فُضَيْلٍ) عَنْ الْمُخْتَار بْنُ فُلْفُلٍ، عنه به.

السؤال المطروح: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» يسأل من كان معه من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، هل يدرون ما هو الكوثر الذي أكرمه الله جل جلاله به؟ وهو يعلم أنهم لا يدرون؛ ليستعدون، ويتهيئون لمعرفة أمر مُغَيَب لا يُتكلم فيه إلا بالوحي، وكل ما جاء بالوحي يُصَدَق ويُؤْمَن به، فالجنة وما فيها من النعيم، ومنها الحوض الذي وعده الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من شرب منه لا يظمأ أبد، من الأمور المغيبة، والإيمان به داخل تحت الإيمان باليوم الآخر، وهذا من كمال بيانه وكمال نصحه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. [٣]

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: أنزلت سورة الكوثر في العاص بن وائل، [٤] والكوثر هُنَا نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ كَمَا فَسَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَسْرَه ابن عَبَّاسٍ إِنَّهُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، [٥] وذلك النهر من الْخَيْرِ الْكَثِيرِ، [١] وَفَرْدٌ

(١) السنن (٢٠٨/١) (٧٨٤) .
(٢) السنن (٢٣٧/٤) (٤٧٤٧) .
(٣) العباد . شرح سنن أبي داود (١٠٢/ ٤) بتصرف.
(٤) لما مات ابن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القاسم قال العاص بن وائل السهمي: بتر محمد، أو هو أبتر ، أي: لا عقب له بعده، فأنزل الله تعالى هذه السورة تحمل الرد على العاص، والتعزية للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والبشرى له ولأمته بالكوثر الذي هو نهر في الجنة، حافتاه من الذهب ،ومجراه على الدر والياقوت، وتربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج، ومن الكوثر يملأ الحوض الذي في عرصات القيامة، ولا يرده إلا الصالحون من أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الجزائري . أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٦٢٢) نشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
(٥) الأثر أخرجه البخاري في الصحيح كِتَابُ الرِّقَاقِ بَاب فِي الْحَوْضِ، من رواية سَعِيدِ =

مِنْ أَفْرَادِه، لَكِنْ ثَبَتَ تَخْصِيصُهُ بِالنَّهَرِ مِنْ لَفْظِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا مَعْدِلَ عَنْهُ. (٢)

فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَوَائِدُ مِنْهَا: أَنَّ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَفِيهِ جَوَازُ النَّوْمِ فِي الْمَسْجِدِ، وَجَوَازُ نَوْمِ الْإِنْسَانِ بِحَضْرَةِ أَصْحَابِهِ، وَأَنَّهُ إِذَا رَأَى التَّابِعُ مِنْ مَتْبُوعِهِ تَبَسُّمًا أَوْ غَيْرَهُ مِمَّا يَقْتَضِي حُدُوثَ أَمْرٍ، يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ سَبَبِهِ، وَفِيهِ إِثْبَاتُ الْحَوْضِ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، (٣)وَفِيهِ أن السنة تبين القرآن وتفسره؛ لأن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَّرَ الْكَوْثَرَ الذي جاء في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] بأنه نهر في الجنة وعده الله تعالى به،(٤) وأما الحوض فهو في العرصات في الموقف يوم القيامة قبل أن يذهب الناس إلى الصراط والميزان، لأن الناس إذا خرجوا من قبورهم خرجوا عطاشاً، فيتجهون إلي الحوض في عرصات القيامة، يريدون أن يشربوا منه فيذاد عنه من يذاد ويشرب من يشرب،(٥) «آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ» ، لا يقصد بها تحديد العدد، بل الكثرة العظيمة. (٦)أكرمنا الله بالشرب منه شربة هنيئة ووالدينا وكل من له حق علينا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

=

بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: الكَوْثَرُ: الخَيْرُ الكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ " قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: «النَّهَرُ الَّذِي فِي الجَنَّةِ مِنَ الخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ» (١١٩/٨) (٦٥٧٨) .

(١) القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٣٣) ، والنووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤/ ١١٣) .

(٢) ابن حجر . فتح الباري (٨/ ٧٣٢) .

(٣) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤/ ١١٣) .

(٤) العباد . شرح سنن أبي داود (١٠٢/ ٤) .

(٥) العباد . شرح سنن أبي داود (١٠٢/ ٦) .

(٦) ابن رسلان . شرح سنن أبي داود (٣٤٣/١٨) . نشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٦ م.

المقصد من السؤال وثمرته: طرح النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤاله عن أمر مغيب عن أذهانهم، فللمعلم أن يطرح سؤاله عما يجهله السامع ليتهيأ لسماع الإجابة ويرعيها انتباهه.

المبحث الخامس: طلوع الشمس من مغربها

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: « إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا »، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»

تخريج الحديث: الحديث مداره على إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا إلى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَخْرَجَهُ البخاري في [١] كِتَاب بَدْءِ الخَلْقِ بَاب صِفَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ بِحُسْبَانٍ، و في [٢] كِتَاب تَفْسِيرِ القُرْآنِ بَاب ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، وفي [٣]كِتَاب التَّوْحِيدِ بَاب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ﴾ [هود:

(١) الصحيح (٤/ ١٠٧) (٣١٩٩) .
(٢) الصحيح (٦/ ١٢٣) (٤٨٠٢) .
(٣) الصحيح (١٢٥/٩) (٧٤٢٤) .

٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ العَـرْشِ العَظِـيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، ومسلم في [١] كِتَاب الْإِيمَانَ بَاب بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ، والترمذي في [٢] أَبْوَاب الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاب مَا جَاءَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وفي [٣] أَبْوَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاب: وَمِنْ سُورَةِ يس، وثلاثتهما مختصرا من طريق الأَعْمَشِ، وَأَخْرَجَهُ مسلم بلفظه في [٤] ذات الكتاب والباب من طريق يُونُسُ، وَأَخْرَجَهُ أبوداود في [٥] كِتَاب الْحُرُوفِ وَالْقِرَاءَاتِ من طريق الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ، بلفظ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ، وَالشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا فَقَالَ: «هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ هَذِهِ؟» قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ «فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ»، و(الأَعْمَشِ، يُونُسُ، الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ) عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّيْمِيِّ، عنه به.

السؤال المطروح: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»، «أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ سأل النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من معه من صحابته رضوان الله عليهم أجمعين سؤالين، وكلاهما من الْمَغِيبَاتِ، أحدهما عن المكان الذي تذهب إليه الشَّمْسِ بعد غيابها عن الأنظار، وهو سؤال تمهيدي لبَيَّنَ لهم كَيْفِيَّةَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، [٦]فيه ربط الظواهر الطبيعية بخالقها، والسؤال الثاني وقت حدوثه، وفيه تذكير بالمصير الذي ينتظر المؤمن، وغير المؤمن. [٧]

(١) الصحيح(١/ ١٣٨) (٢٥٠) .
(٢) السنن (٤/ ٤٧٩) (٢١٨٦) .
(٣) السنن (٥/ ٣٦٤) (٣٢٢٧) .
(٤) الصحيح(١/ ١٣٨) (٢٥٠) .
(٥) السنن (٣٧/٤) (٤٠٠٢) .
(٦) العراقي . طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢٥٩) بتصرف نشر: الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي) .
(٧) موسى لا شين . فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١/ ٥٠٥) ، بتصرف، نشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق) ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: « مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً » سُجُودُ الشمس فهو بتمييز وإدراك بخلق اللَّـهُ تَعَالَى فِيهَا، وهَذَا مِمَّا اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِيهِ، فَقَالَ جَمَاعَةٌ: بِظَاهِرِ الْحَدِيثِ إِذَا غَرَبَتْ كُلَّ يَوْمٍ اسْتَقَرَّتْ تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى أَنْ تَطْلُعَ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَمَعْنَاهُ تَجْرِي إِلَى وَقْتٍ لَهَا وَأَجَلٍ لَا تَتَعَدَّاهُ، وَعَلَى هَذَا مُسْتَقَرُّهَا انْتِهَاءُ سَيْرِهَا عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا، وقيل : تَسِيرُ فِي مَنَازِلِهَا حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى آخِرِ مُسْتَقَرِّهَا الَّذِي لَا تُجَاوِزُهُ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِ مَنَازِلِهَا،(١) وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَا نُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ لِلشَّمْسِ اسْتِقْرَارٌ مَا تَحْتَ الْعَرْشِ مِنْ حَيْثُ لَا نُدْرِكُهُ وَلَا نُشَاهِدُهُ وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ غَيْبٍ فَلَا نُكَذِّبُهُ وَلَا نُكَيِّفُهُ لِأَنَّ عِلْمَنَا لَا يُحِيطُ بِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَوْ عِلْمُ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فِي كِتَابٍ كُتِبَ فِيهِ ابْتِدَاءُ أُمُورِ الْعَالَمِ وَنِهَايَتُهَا فَيُقْطَعُ دَوْرَانُ الشَّمْسِ وَتَسْتَقِرُّ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَبْطُلُ فِعْلُهَا، وهو اللوح المحفوظ الذي يبين فيه أحوال الخلق والخليقة وآجالهم ومآل أمورهم، والله أعلم بذلك، (٢) وَأَمَّا قَوْلُهُ « تَحْتَ الْعَرْشِ » فَقِيلَ: هُوَ حِينَ مُحَاذَاتِهَا، وَلَا يُخَالِفُ هَذَا قَوْلُهُ تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦] فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهَا نِهَايَةُ مُدْرَكِ الْبَصَرِ إِلَيْهَا حَالَ الْغُرُوبِ، وَسُجُودُهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الْغُرُوبِ،(٣) وليس معناه أنها تسقط في تلك العين، بل هو خبر عن الغاية التي بلغها ذو القرنين في مسيرها، ووجدها تتدلى عند غروبها فوق هذه العين أو على سمتها، وكذلك من كان في البحر يرى كأنها تغرب في البحر وإن كانت في الحقيقة تغيب وراء البحر ، وَلَيْسَ فِي سُجُودِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ

(١) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ١٩٥) .
(٢) أعلام الحديث (٣/ ١٨٩٣) .
(٣) الخطابي . أعلام الحديث (٣/ ١٨٩٥) ، الكرماني . الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٨/ ٦٢) نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م ، ابن حجر . فتح الباري (٨/ ٥٤٢) .

مَا يُعِيقُ عَنْ دَوَرَانِهَا فِي سَيْرِهَا والتصرف لما سخرت له، [١] وقال ابن حجر: ((وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالِاسْتِقْرَارِ وُقُوعُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عِنْدَ سُجُودِهَا وَمُقَابِلُ الِاسْتِقْرَارِ الْمَسِيرُ الدَّائِمُ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْجَرْيِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)). [٢]

. مَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَنْفَعُهُ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا الْإِيمَانُ، وَأَنَّ الْعَاصِيَ لَا يَنْفَعُهُ بَعْدَ ذَلِكَ التَّوْبَةُ وَاكْتِسَابُ الْخَيْرِ، بَلْ يُخْتَمُ عَلَى كل أَحَدٍ بِالْحَالَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا أَوَّلُ قِيَامِ السَّاعَةِ وَبُدُوِّ التَّغَيُّرَاتِ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ فَإِذَا شُوهِدَ ذَلِكَ وَعُوِينَ حَصَلَ الْإِيمَانُ الضَّرُورِيُّ وَارْتَفَعَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ الَّذِي هُوَ مُكَلَّفٌ بِهِ، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ قَوْلُهُ ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] يُرِيدُ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْبِرِّ فَرْضَهَا وَنَفْلَهَا. [٣]

المقصد من السؤال وثمرته: هذا السؤال كالسابق طرحه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان عن أمر مغيب عن أذهانهم، فيطرح المعلم سؤاله عما يجهله السامع ليتهيأ لسماع الإجابة، مع استثمار انتباههم في اثبات قدرة الله وتحكمه في الكون.

المبحث السادس: الدَّجَّال ودابة الْجَسَّاسَة

عَنِ عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ، شَعْبُ هَمْدَانَ، أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ رضي الله عنها، أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ – وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ – فَقَالَ: حَدِّثِينِي حَدِيثًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا تُسْنِدِيهِ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَقَالَتْ: لَئِنْ شِئْتَ لَأَفْعَلَنَّ، فَقَالَ لَهَا: أَجَلْ حَدِّثِينِي فَقَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ، وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى

(١) الخطابي . أعلام الحديث (٣/ ١٨٩٥) ، ابن حجر . فتح الباري (٨/ ٥٤٢) .
(٢) فتح الباري (٨/ ٥٤٢) .
(٣) العراقي . طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢٥٩ . ٢٦٠) .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ» فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ، فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ» وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ، مِنَ الْأَنْصَارِ، عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي، إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ وَلَكِنِ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ» – وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ، فِهْرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ – فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ

كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً – أَوْ وَاحِدًا – مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» – يَعْنِي الْمَدِينَةَ – «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تخريج الحديث: الحديث مداره على عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ رضي الله عنها، رفعته إلى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَخْرَجَهُ مسلم واللفظ له في [1]كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ باب قصة الجساسة ، وأخرج أبوداود بعضه في [2] كِتَاب الْمَلَاحِمِ بَاب فِي خَبَرِ الْجَسَّاسَةِ، وكلاهما من طريق عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، وأخرج بعضه الترمذي في [3] أَبْوَاب الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من طريق قَتَادَةَ، وأخرج بعضه ابن ماجه في [4]كِتَاب الْفِتَنِ بَاب فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَخُرُوجِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، من طريق مُجَالِدٍ ، و (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ ،قَتَادَةَ ،مُجَالِدٍ) عن عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ عنه به.

السؤال المطروح: أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ» أي في أمر مرغوب من نحو عطاء كَغَنِيمَةٍ، «وَلَا لِرَهْبَةٍ» أي من خوف عدو، [5] «وَ لَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ»، فقد سبق أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر صحابته الكرام عن أمر غيبي، فسرّ وابتهج بهذه الموافقة لتحصيل اليقين لأصحابه بتأييد حدِيثَه، حدِيثِه، لا لحصول اليقين له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد التردد. [6]

---

(١) الصحيح (٤/ ٢٢٦١) (١١٩) .
(٢) السنن (٤/ ١١٨) (٤٣٢٦) .
(٣) السنن (٤/ ٥٢١) (٢٢٥٣) .
(٤) السنن (٢/ ١٣٥٤) (٤٠٧٤) .
(٥) الطيبي . شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن (١١/ ٣٤٦٢) ، علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٤٧١) .
(٦) عبدالحق البخاري . لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٧٠٩) ، نشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤ م.

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: الحديث فِيه خبر الدَّجَّال ودابة الْجَسَّاسَة، وَالْجَسَّاسَةُ قِيلَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَجَسُّسِهَا الْأَخْبَارَ لِلدَّجَّالِ، [١] وهذا الحديث معدود من مناقب تَمِيم الدَّارِيَّ؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ روى عنه هذا الحديث. وفيه شاهد على رِوَايَةُ الْفَاضِلُ عَنِ الْمَفْضُولِ، وَرِوَايَةُ الْمَتْبُوعِ عَنْ تَابِعِهِ، وَفِيهِ قَبُولُ خَبَرِ الْوَاحِدِ، [٢]وَفِيهِ إِشْعَارٌ أَنَّ كَثْرَةَ الرُّوَاةِ لَهَا دَخْلٌ فِي قُوَّةِ الْإِسْنَادِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِشْهَادِ وَطَرِيقِ الِاعْتِضَادِ «حَدَّثَنِي »، وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى الرَّدِّ عَلَى الْجَاهِلِ الْمُكَابِرِ، حَتَّى يَتَكَبَّرَ عَنْ أَخْذِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْخُمُولِ وَالْأَصَاغِرِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[الأعراف: ١٤٦] ،وقال علي رضي الله عنه: ((انْظُرْ إِلَى مَا قَالَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ)) [٣]

المقصد من السؤال وثمرته: دعا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحابته للاجتماع، وقبل أن يسألوه عن السبب، طرح النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤاله؛ ليؤكد لهم على حقيقة غيبية سبق له بيانها لهم، فهنا يبادر المعلم بالبيان ومباشرة التوضيح وخاصة إن وقعت أمور تؤكد ما سبق له بيانه لربطها.

المبحث السابع: محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّد القَوْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَعْوَةٍ، «فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً [٤]» وَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ القَوْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي

(١) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم (١٨/ ٧٨) .
(٢) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم (١٨/ ٨١) ، ابن رسلان . شرح سنن أبي داود (١٧/ ١٦٩) .
(٣) علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٤٧١) .
(٤) النّهسُ: القبضُ على اللّحم ونَتْرُه، الفراهيدي . العين (٨/٤) نشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي، ائْتُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ " قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: لاَ أَحْفَظُ سَائِرَهُ.

تخريج الحديث: الحديث مداره على أَبي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رفعه إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ البخاري في [1]كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١] – إِلَى آخِرِ السُّورَةِ –، من طريق مُحَمَّد بْنُ عُبَيْدٍ، وَأَخْرَجَهُ البخاري في[2] كِتَاب تَفْسِيرِ القُرْآنِ بَاب {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣] والترمذي بزيادة في [3] أَبْوَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب مَا جَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ، وكلاهما من طريق عَبْدُ اللَّهِ بْنُ المُبَارَكِ و(مُحَمَّد بْنُ عُبَيْدٍ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ المُبَارَكِ) عن أَبي حَيَّان عنه به.

(١) الصحيح (٤/ ١٣٤) (٣٣٤٠) .
(٢) الصحيح (٦/ ٨٤) (٤٧١٢) .
(٣) السنن (٦٢٢/٤) (٢٤٣٤) .

السؤال المطروح: هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ أي بما نال السيادة على كل من في المحشر، والسيد الذي يفوق قومه، والذي يُفزعَ إليه في الشدائد، والنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو سيّدهم في الدنيا والآخرة، لكن خصَّص القيامة لارتفاع دعوى السؤدد فيها، وتسليم الكل له ذلك، وكون آدم ومن ولد، تحت لوائه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦]، أي انقطعت دعاوى الدُعاة في الملك ذلك اليوم، وبقي الملك الحق لله وحده، الذي قهر جميع الجبابرة والمدَّعين الملك وأفناهم، ثم أعادهم وحشرهم عراةً فقراء إليه، (١) فالسؤال فيه تنبيهُ العالم للطالب على موضع السؤال وبَسْطه للسؤال إذا انقبض، وتعظيمُ القوم العالِمَ أن يسألوه عن كل شيء، ولعل هذا كان بعد نهيهم عن السؤال إلا فيما أذن لهم فيه. (٢)

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الذراع وإعجابه بها لنُضج لحمها وسرعة استمرائه، مع زيادة لذته وحلاوة مذاقه على سائر لحم الشاة، وبعده من مواقع الأذى الذي كان يتقيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (٣)

. ورد في هذا الحديث ذكر آدَمُ وَ نُوحٍ عليهما السلام، وفي غيره (٤) ذكر ابْرَاهِيمُ وَ مُوسَى وَعِيسَى عليهم السلام، فَفِيهِ تَفْضِيلُ الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ فِيهِ عَلَى مَنْ لَمْ يُذْكَرْوا ؛ لِتَأَهُّلِهِمْ لِذَلِكَ الْمَقَامِ الْعَظِيمِ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا اخْتُصَّ الْمَذْكُورُونَ بِذَلِكَ لِمَزَايَا أُخْرَى لَا تَتَعَلَّقُ بِالتَّفْضِيلِ، فَآدَمُ لِكَوْنِهِ وَالِدَ الْجَمِيعِ، وَنُوحٌ لِكَوْنِهِ الْأَبَ الثَّانِيَ، وَإِبْرَاهِيمُ لِلْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مِلَّتِهِ، وَمُوسَى لِأَنَّهُ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا، وَعِيسَى لِأَنَّهُ أَوْلَى النَّاسِ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٨٢ .٥٨٣) بتصرف يسير.
(٢) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٨٣) .
(٣) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٨٢) .
(٤) كطريق البخاري الوارد في التخريج، الصحيح (٦/ ٨٤) (٤٧١٢) .

كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ،(١) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا اخْتُصُّوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ شَرَائِعَ عُمِلَ بِهَا مِنْ بَيْنِ مَنْ ذُكِرَ أَوَّلًا وَمَنْ بَعْدَهُ، وَفِيهِ تَفْضِيلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ لِأَنَّ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِمَّنْ سِوَاهُمْ وَقَدْ ظَهَرَ فَضْلُهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَلَيْهِمْ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ إِلَّا الْفَرْقُ بَيْنَ مَنْ يَقُولُ نَفْسِي نَفْسِي وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ أُمَّتِي أُمَّتِي لَكَانَ كَافِيًا. (٢)

. فِيهِ أَنَّ مَنْ طَلَبَ مِنْ كَبِيرٍ أَمْرًا مُهِمًّا أَنْ يُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْ سُؤَالِهِ وَصْفَ الْمَسْئُولِ بِأَحْسَنِ صِفَاتِهِ، وَأَشْرَفِ مَزَايَاهُ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لِإِجَابَتِهِ لسؤاله، وَفِيه أَن المسؤول إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَحْصِيلِ مَا سُئِلَ يَعْتَذِرُ بِمَا يُقْبَلُ مِنْهُ، وَيَدُلُّ عَلَى مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَكْمُلُ فِي الْقِيَامِ بِذَلِكَ، فَالدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ،(٣) وَأَنَّهُ يُثْنِي عَلَى الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِأَوْصَافِهِ الْمُقْتَضِيَةِ لِأَهْلِيَّتِهِ وَيَكُونُ أَدْعَى لِقَبُولِ عُذْرِهِ فِي الِامْتِنَاعِ،(٤) وَفِيهِ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَصْحِبُونَ حَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ التَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَوَائِجِهِمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ؛ وَالْبَاعِثُ عَلَى ذَلِكَ الْإِلْهَامُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي

(١) أخرجه البخاري من رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في كِتَاب أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم: ١٦] "قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلاَدُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ» أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ أي: أخص وأقرب وأقعد، الصحيح (٤/ ١٦٧) (٣٤٤٢) ، القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٣٣٧) .

(٢) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٤٤١) .

(٣) كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم من رواية أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، كِتَاب الْإِمَارَةِ، بَاب فَضْلِ إِعَانَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَرْكُوبٍ وَغَيْرِهِ، وَخِلَافَتِهِ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي، فَقَالَ: «مَا عِنْدِي»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» الصحيح (٣/ ١٥٠٦) (١٨٩٣) .

(٤) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٤٤١) .

صَدْرِ الْحَدِيثِ،[١] وَفِيهِ أَنَّهُمْ يَسْتَشِيرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُجْمِعُونَ عَلَى الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ، وَأَنَّهُمْ يُغَطَّى عَنْهُمْ بَعْضُ مَا عَلِمُوهُ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ فِي السَّائِلِينَ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَسْتَحْضِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ الْمَقَامَ يَخْتَصُّ بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذْ لَوِ اسْتَحْضَرُوا ذَلِكَ لَسَأَلُوهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَلَمَا احْتَاجُوا إِلَى التَّرَدُّدِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ، وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْسَاهُمْ ذَلِكَ لِلْحِكْمَةِ الَّتِي تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ إِظْهَارِ فَضْلِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [٢]

المقصد من السؤال وثمرته: طرح النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤاله؛ ليبين لهم السبب الذي تفضل الله جل جلاله به عليه فكان به سيد القوم يوم القيامة، فللمعلم، وللقائد، ولولي الأمر، أن يبين ما أكرمه الله به بطرح السؤال للفت الانتباه إلى ما سيقوله إن كان من قبيل التحدث بالنعمة لشكرها.

المبحث الثامن: أمة محمد شطر أهل الجنة

١) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَتَفَاوَتَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (*) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢] فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا المَطِيَّ[٣] وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلٍ يَقُولُهُ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ»؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "

(١) كما ورد في صدر حديث أخرجه مسلم من رواية أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، في كِتَاب الْإِيمَانَ، بَاب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ – وَقَالَ ابْنُ عُبَيْدٍ: فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ – فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا..» الصحيح (١/ ١٨٠) (٣٢٢) .

(٢) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٤٤١) .

(٣) جَمْعُ مَطِيّة وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي يُرْكب مَطاها أَي ظهرها، وَيُقَالُ يُمطى بِهَا فِي السَّيْرِ أَي يُمدُّ، وَاللَّهُ أَعلم، ابن منظور . لسان العرب (٧/ ٤٠٤) نشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

ذَلِكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ آدَمَ فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الجَنَّةِ » فَيَئِسَ القَوْمُ، حَتَّى مَا أَبَدَوْا بِضَاحِكَةٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بِأَصْحَابِهِ قَالَ: «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ، يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ» قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ القَوْمِ بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ، فَقَالَ: «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ [1] فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ»

تخريج الحديث: الحديث مداره على هِشَام بْن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدستوائي، عَنْ قَتَادَة، عَنْ الحَسَنِ، عَنْ عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ الترمذي في [2]أَبْوَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب: وَمِنْ سُورَةِ الحَجِّ، من طريق يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، و(يَحْيَى بْن سَعِيدٍ) عن هِشَام بْن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عنه به.

الحكم على سند الحديث: أَخْرَجَهُ الترمذي بسند صحيح رواته ثقات، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وصححه الألباني، والحديث أصله في الصحيحين.

السؤال المطروح: «هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ»؟ السؤال كان عن اليوم العظيم الذي ينادي الله تعالى فيه آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنداء لا يكون إلا بصوت يُسمع من بعدٍ عن المنادي، وأهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بأن للَّه تعالى

(١) الرَّقْمَةُ هُنا: الهَنَة الناتِئة فِي ذِراع الدابة من داخِل، وهما رَقْمَتَانِ في ذراعَيها، ابن الأثير . النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٥٤) نشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) السنن (٥/ ٣٢٣) (٣١٦٩) .

صوت يليق به، لا يشبه أصوات خلقه، كصفاته، [١]وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ القِيَامَةِ.[٢]

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: «فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ» الْبَعْثُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَبْعُوثِ الْمُوَجَّهِ إِلَيْهَا،[٣] وَمَعْنَاهَا هُنَا مَيِّزْ أَهْلَ النَّارِ مِنْ غَيْرِهِمْ،[٤] وَخَصَّ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ لِكَوْنِهِ وَالِدَ الْجَمِيعِ، وَلِكَوْنِهِ كَانَ قَدْ عَرَفَ أَهْلَ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ؛ فَقَدْ رَآهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَعَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَنْ شِمَالِهِ أَسْوِدَةٌ، [٥] ويحتمل أن يكون المعنى أي: احضر إخراجهم، فكأنهم يعرضون عليه بأشخاصهم وأسمائهم، كما قد عرضت عليه نسمهم،[٦] وَقَوْلُهُ «وَمَا بَعْثُ النَّارِ» الْوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَى شَيْءٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ أَيْ: وَمَا مِقْدَارُ مَبْعُوثِ النَّارِ، [٧]

---

(١) الغنيمان . شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٣٢٦ . ٣٢٧) بتصرف يسير، نشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.

(٢) ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري في كِتَاب الرِّقَاقِ، بَاب: كَيْفَ الحَشْرُ، من رواية أَبِي هُرَيْرَةَ: عن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ القِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ، فَيُقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا؟ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي فِي الأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ البَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ» الصحيح (٨/ ١١٠) (٦٥٢٩) .

(٣) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ٩٧) .

(٤) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ٩٧) ، ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٨٩) .

(٥) حديث الإسراء الطويل أخرجه البخاري من رواية أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَاب الصَّلاَةِ بَاب كَيْفَ فُرِضَتِ الصَّلاَةُ فِي الإِسْرَاءِ؟ (١/ ٧٨) (٣٤٩) ، وينظر القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٧٠) ، ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٨٩) .

(٦) القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٧٠) .

(٧) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٨٩) .

فَيَقُولُ: «مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الجَنَّةِ»، لَمَّا اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ الْأَمْرَ وَاسْتَشْعَرُوا الْخَوْفَ مِنْهُ، ألفًا إلا واحدًا للنار، وواحدًا للجنة، [١] واستبعد كل واحد منهم أن يكون هو ذلك الواحد، [٢] (قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ)؟ [٣] قَالَ فِي جَوَابِهِمْ تَسْلِيَةً لِفُؤَادِهِمْ [٤]: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا» فَالمقصود هم ومن كان على كفرهم، وَ« مِنْكُمْ رَجُلًا » أي: أَصْحَابِهِ وَمَنْ كَانَ على إيمانهم[٥]وَهذه إِشَارَةً إِلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ،[٦] وقَالَ «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ، يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ» أي غَلَبتاه بالكَثرة وكانَتَا أكْثَر منه،[٧] ثم قال: «اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ» وردت في هذا الحديث «كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ

(١) علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٥١٨) .
(٢) القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٧٠) .
(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كِتَاب أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَاب قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ من رواية أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ : «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ » فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ» (١٣٨/٤) (٣٣٤٨) .
(٤) علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٥١٨) .
(٥) ينظر القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٧٠ . ٤٧١) .
(٦) ابن حجر . فتح الباري (٣٩٢/١١) .
(٧) جامع غريب الحديث (٢/ ٢٧٤) الشاملة الذهبية.

أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ» وَالرَّقْمَةُ قِطْعَةٌ بَيْضَاءُ تَكُونُ فِي بَاطِنِ عُضْوِ الْحِمَارِ وَالْفَرَسِ وَتَكُونُ فِي قَوَائِمِ الشَّاةِ، وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ الرَّقْمَة شَيْء مستدير لا شعر فِيهِ، (١)

وقال الكوراني: ((الموضع المرتفع في داخل ذراعه لا شعر عليه، وقيل: الخط الذي عليه، وهذا لا يُنافي ماورد في الرواية التالية قوله: «كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ» لأنّ الغرض القلة في الجملة))، (٢) فالمقصود الإخبار عن كثرة الأمم، وقلة المسلمين، (٣) وقلة أهل الجنة من هذه الأمة بالنسبة إلى كثرة أهل النار من غيرها من الأمم، وأما نسبة هذه الأمّة إلى من يدخل الجنة من الأمم، فهذه الأمة شطر أهل الجنة. (٤)

قال النَّوَوِيُّ: ((اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي وَقْتِ وَضْعِ كُلِّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَذْكُورِ في الآية، فَقِيلَ: عِنْدَ زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: هُوَ فِي الْقِيَامَةِ، فَعَلَى الْأَوَّلِ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ مَجَازًا؛ لِأَنَّ الْقِيَامَةَ لَيْسَ فِيهَا حَمْلٌ وَلَا وِلَادَةٌ ،وَتَقْدِيرُهُ يَنْتَهِي بِهِ الْأَهْوَالُ وَالشَّدَائِدُ إِلَى أَنَّهُ لَوْ تُصُوِّرَتِ الْحَوَامِلُ هُنَاكَ لَوَضَعْنَ أَحْمَالَهُنَّ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ أَصَابَنَا أَمْرٌ يَشِيبُ مِنْهُ الْوَلِيدُ، يُرِيدُونَ شِدَّتَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ))،(٥) بينما قال ابن حجر: ((يَحْتَمِلُ يَحْتَمِلُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى حَقِيقَتِهِ فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، فَتُبْعَثُ الْحَامِلُ حَامِلًا ، وَالْمُرْضِعُ مُرْضِعَةً، وَالطِّفْلُ طِفْلًا ، فَإِذَا وَقَعَتْ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ وَقِيلَ ذَلِكَ لِآدَمَ وَرَأَى النَّاسُ آدَمَ، وَسَمِعُوا مَا قِيلَ لَهُ، وَقَعَ بِهِمْ مِنَ الْوَجَلِ مَا يَسْقُطُ مَعَهُ الْحَمْلُ وَيَشِيبُ لَهُ الطِّفْلُ وَتَذْهَلُ بِهِ الْمُرْضِعَةُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ

(١) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٨٨) .
(٢) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (١٠/ ١٩٣) نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
(٣) ابن الملقن . التوضيح شرح الجامع الصحيح (٣٣/٣٠) وعزاه للداودي.
(٤) القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٧١) .
(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ٩٧) .

بَعْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى وَقَبْلَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ وَيَكُونُ خَاصًّا بِالْمَوْجُودِينَ حِينَئِذٍ ،وَلَا يَمْنَعُ مِنْ هَذَا الْحَمْلِ مَا يُتَخَيَّلُ مِنْ طُولِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَاسْتِقْرَارِ النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، وَنِدَاءِ آدَمَ لِتَمْيِيزِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ ذَلِكَ يَقَعُ مُتَقَارِبًا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (*) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤] يَعْنِي أَرْضَ الْمَوْقِفِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (*) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا [المزمل: ١٧، ١٨] ﴾ وَالْحَاصِلُ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُطْلَقُ عَلَى مَا بَعْدَ نَفْخَةِ الْبَعْثِ مِنْ أَهْوَالٍ وَزَلْزَلَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الِاسْتِقْرَارِ فِي الْجَنَّةِ أَوِ النَّار .[١]

٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ»

تخريج الحديث: هذا الحديث هو من طرق الحديث السابق ذكرته لاختلاف السؤال وزيادة فوائد.

الحديث مداره على شُعْبَة، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رفعه إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ البخاري في [٢] كِتَاب الرِّقَاقِ بَاب كَيْفَ الحَشْرُ، ومسلم في [٣] كِتَاب الْإِيمَانَ بَاب كَوْنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وابن ماجه في [٤] كِتَاب الزُّهْدِ بَاب صِفَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ

(١) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٩٠) .
(٢) الصحيح (١١٠/٨) (٦٥٢٨) .
(٣) الصحيح (١/ ٢٠٠) (٣٧٧) .
(٤) السنن (٢/ ١٤٣٢) (٤٢٨٣) .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثلاثتهم من طريق غُنْدَرٌ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَأَخْرَجَهُ الترمذي في [١]أَبْوَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاب مَا جَاءَ فِي صَفِّ أَهْلِ الجَنَّةِ، من طريق أَبُو دَاوُدَ، و (غُنْدَرٌ، أَبُو دَاوُدَ) كلاهما عن شُعْبَةُ عنه به.

السؤال المطروح: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ»، «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ» ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الِاسْتِفْهَامِ لِإِرَادَةِ تَقْرِيرِ الْبِشَارَةِ بِذَلِكَ، وَذَكَرَهُ بِالتَّدْرِيجِ لِيَكُونَ أَعْظَمَ لِسُرُورِهِمْ، [٢]وقال النووي : ((وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ الشَّطْرَ ، وَلَمْ يَقُلْ أَوَّلًا شَطْرَ أهل الجنة؛ فلفائدة حسنة وفي أَنَّ ذَلِكَ أَوْقَعُ فِي نُفُوسِهِمْ وَأَبْلَغُ فِي إِكْرَامِهِمْ فَإِنَّ إِعْطَاءَ الْإِنْسَانِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى؛ دَلِيلٌ عَلَى الِاعْتِنَاءِ بِهِ، وَدَوَامِ مُلَاحَظَتِهِ، وَفِيهِ فَائِدَةٌ أُخْرَى هِيَ تَكْرِيرُهُ الْبِشَارَةَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَفِيهِ أَيْضًا حَمْلُهُمْ عَلَى تَجْدِيدِ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْبِيرِهِ وَحَمْدِهِ عَلَى كَثْرَةِ نِعَمِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)). [٣]

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: يَدُلُّ قَوْلُهُ رُبُعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى أَنَّ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَيْضًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ،[٤] وقوله: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ» يعني أن غير يأجوج ومأجوج من الأمم السالفة الفائقة الحصر أيضاً داخلون في الوعيد، فإذا وزع نصف أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع مثله من الأمم السابقة على هؤلاء يكون كالواحد من الألف، يدل عليه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ»[٥] فَكَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) السنن (٦٨٤/٤) (٢٥٤٧) .
(٢) ذكره ابن حجر . فتح الباري وعزاه لابن التِّين (١١/ ٣٨٧) .
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ٩٥) .
(٤) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٩٢) .
(٥) الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (١١/ ٣٥٠٢) بتصرف يسير.

وَسَلَّمَ لَمَّا رَجَا رَحْمَةَ رَبِّهِ أَنْ تَكُونَ أُمَّتُهُ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَعْطَاهُ مَا ارْتَجَاهُ وَزَادَهُ، وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، وَقَالَ بن التِّينِ أَطْلَقَ الشَّعْرَةَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَةَ الْوَحْدَةِ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ ثَوْرٌ لَيْسَ فِي جِلْدِهِ غَيْرُ شَعْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ لَوْنِهِ.(١)

المقصد من السؤال وثمرته: طرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤاله عن أمر مغيب بطريقة الاستفهام؛ لتقرير البشارة، وزادهم في البشارة لإدخال السرور عليهم، فللمعلم أن يطرح سؤاله عما يجهله السامع بطريقة الاستفهام، ويرغبهم في ثمرات العمل، فهو أوقع في القلب، وأجدى لسرعة الاستجابة.

المبحث التاسع: ستر الله على المؤمن يوم القيامة، وفضح الكافر بشهادة جوارحه وأعضاؤه

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»

تخريج الحديث: الحديث أَخْرَجَهُ مسلم في (٢)كِتَاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ عن أَبِي بَكْرِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ عُبَيْدُ اللهِ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدٍ الْمُكْتِبِ، عَنْ فُضَيْلٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رفعه إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السؤال المطروح: ضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» ليستحضرَ أذهانَهُم وفهمهم، وَيَتَوَجَّهُون إِلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِمْ، ثم

(١) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٣٨٨) .
(٢) الصحيح (٤/٢٢٨٠) (١٧) .

يستعدون لمعرفة أمر مُغَيَب من مغيبات يوم القيامة ولا يُتكلم فيه إلا بالوحي، وهو عند وقوف العبد بين يدي ربه، ويطلب شاهدًا من نفسه، زاعمًا أنه لا شاهد عليه من نفسه؛ لأنه لا يشهد أحد على نفسه، وهذا موضع غلطه ووقوعه فيما هرب عنه، (١) ينطق الله سبحانه وتعالى جَوَارِحِهِ؛ لتزكية الشهود، لا لارتياب بهم، ولا لتتميم شهادتهم، (٢)وإنما بذل له مطلوبه، وزاد عليه تأكيداً وتقريراً بشهادة الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ. (٣)

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: يَقُولُ العبد وهو واقف بين يدي ربه جل جلاله: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ أي: ألم تجعلني في إجارة منك بقولك: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] (٤)، وقولك﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٤٠] (٥)فيظهر الله في هذا الموقف لعباده عدله، ومن عدله أن تشهد جوارحُهُ بذنوبه، فتقول يده مثلًا: سُرِقتَ بي المال الفلاني، وتقول رجله: بي خطوتَ إلى المعاصي، وتقول العين: بي نظرتَ إلى الحرام، وتقول الأذن: بي سمعتَ الغيبة والبُهتان، ومصداقُ هذا قولُهُ تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. (٦)، فاجتمع لهذا الشقي فعل المعصية وكذب بين يدي ربه، وجهل بربه أن الله قادر على أن يظهر كل خفي. (٧)

(١) عبدالحق البخاري . لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٧) .
(٢) بن هُبَيْرَة . الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٩٨) .
(٣) الطيبي شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (١١/ ٣٥٠٧ . ٣٥٠٨) بتصرف.
(٤) الطيبي شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (١١/ ٣٥٠٧ . ٣٥٠٨) بتصرف.
(٥) عبدالحق البخاري . لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٧) .
(٦) المظهري . المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٤٩٠) بتصرف يسير.
(٧) بن هُبَيْرَة . الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٩٨) .

فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء، إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره، كما أخبر به بقوله: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ،» [1]ثم قال: فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم، ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة.[2]

المقصد من السؤال وثمرته: طرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤاله مقرونا بأمر محسوس وهو الضحك؛ ليسترعي انتباههم لأمر مغيب عنهم، يتجلى فيه عدل الله جل جلاله بعباده، فبعض المسائل تحتاج من المعلم لفت الانتباه بأمر محسوس، كالضحك، أو الحزن، أو الإشارة ؛ لتُستوعب وتُفهم .

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨] من رواية ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] »، (٣/ ١٢٨) (٢٤٤١) .

(٢) الغزالي . إحياء علوم الدين (٤/ ٥١٩) بتصرف يسير ، نشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

الفصل الثالث: فصل الآداب

المبحث الأول: حقيقة الغيبة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ [١]»

تخريج الحديث: الحديث مداره على الْعَلَاء بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مرفوعا إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ مسلم في [٢] كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَاب تَحْرِيمِ الْغِيبَةِ، من طريق إِسْمَاعِيلُ، وَأَخْرَجَهُ أبوداود في [٣] كِتَاب الْأَدَبِ بَاب فِي الْغِيبَةِ والترمذي في [٤] أَبْوَاب البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب مَا جَاءَ فِي الغِيبَةِ من طريق عَبْد العَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، و(إِسْمَاعِيلُ ، عَبْد العَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ) عن الْعَلَاء بْن عَبْد الرَّحْمَنِ عنه به.

السؤال المطروح: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» ما هو حد الغيبة؟ وما مدى الالمام بخطورتها؟، وخطورة من تجاوزها إلى ما هو أشد اثما، وأعظم شرا؟ الْغِيبَةَ مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ، وَأَكْثَرِهَا انْتِشَارًا بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَسْلَمَ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، [٥] فالاستفهام لجذب الانتباه حتى يستقر الخبر في نفس

---

(١) قال الفراهيدي: بهت: بَهَتَهُ فلانٌ، أي: استقبله بأمرٍ قَذَفَهُ به وهو بريءٌ منه، لا يعلمه، وقال عياض: قَوْله: «فقد بَهته» بِفَتْح الْبَاء وَالْهَاء وتخفيفها، وتشديدها خطأ، يُقَال: بهت فلَان فلَانا، فبهت إِذا تحير فِي كذبه، وَقيل: بَهته وأبهته بِمَا لم يفعل، ينظر العين (٤/ ٣٥) ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ١٠٢) .

(٢) الصحيح (٤/ ٢٠٠١) (٢٥٨٩) .

(٣) السنن (٤/ ٢٦٩) (٤٨٧٤) .

(٤) السنن (٤/ ٣٢٩) (١٩٣٤) .

(٥) النووي . الأذكار (٣٣٦) نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م، الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (١٠/ ٣١١٨) .

المخاطب [١] فكل من يسمع ينبغي له أن يعي خطورتها، ويحذر منها، ومما تؤل إليه.

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: إن غيبة أهل الستر من المؤمنين، ومن لا يعلن بالمعاصي، من الذنوب العظام المحرمة التي تحبط الأعمال،[٢] بل هي من الكبائر[٣] ومن المناسب قبل البدء بالحديث البدء بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] فقد ذكر الله جل جلاله في الآية وجوهًا، أولها وأولاها: تنزيل الغائب منزلةَ الميتِ لأنّ الحاضِرَ ينتصرُ لنفسِهِ إذا سمع عرضه، والغائب لا ناصر لهُ من نفسِه كالميت. [٤]

الْغِيبَةُ بِالْكَسْرِ فسرها رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيث: ذكر أَخِيك بِمَا فِيهِ، وَهُوَ أَنْ يُذكَرَ الْإِنْسَانُ فِي غَيْبَتِه بسُوء وَإِنْ كَانَ فِيهِ، فَإِذَا ذَكَرْتَه بِمَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ البَهْت والبُهْتان، [٥] وَباين البعض بينهما بأن الْبُهْتَان الْمُوَاجَهَةُ بِالْقَبِيحِ [٦]بينما الْغَيْبَة ذِكْرُه فِي غَيْبَتِهِ، [٧] بمعنى: أَنْ يَتَكَلَّمَ خَلْفَ

(١) موسى لاشين . فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١٠/ ٦٦) نشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق) ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
(٢) ابن الملقن . التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٨/ ٣٧٩) ، بتصرف يسير.
(٣) قال ابن حجر عن الْأَذْرَعِيُّ: قلة من قال إنها من الصغائر، وَصَرَّحَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهَا مِنَ الْكَبَائِرِ وَإِذَا لَمْ يَثْبُتِ الْإِجْمَاعُ فَلَا أَقَلَّ مِنَ التَّفْصِيلِ فَمَنِ اغْتَابَ وَلِيًّا لِلَّهِ أَوْ عَالِمًا لَيْسَ كَمَنِ اغْتَابَ مَجْهُولَ الْحَالَةِ مَثَلًا، وَقَدْ قَالُوا ضَابِطُهَا ذِكْرُ الشَّخْصِ بِمَا يَكْرَهُ، وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَا يُقَالُ فِيهِ، وَقَدْ يَشْتَدُّ تَأَذِّيهِ بِذَلِكَ وَأَذَى الْمُسْلِمِ مُحَرَّمٌ، فتح الباري (١٠/٤٧٠) ، بتصرف يسير.
(٤) ابن العربي، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص: ١١٦٨) ، نشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٩٩٢ م.
(٥) ابن الأثير . النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٩) .
(٦) ابن عبد البر . الاستذكار (٨/ ٥٦٢) نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠.
(٧) ابن حجر . فتح الباري (٤٦٩/١٠) بتصرف.

إِنْسَانٍ مَسْتُورٍ بِمَا يَغُمُّهُ لَوْ سَمِعَهُ [١] سواء ذكرته بلفظك أو فِي كِتابِكَ، أَوْ رمزتَ أو أشرتَ إليه بعينك، أو يدك أو رأسك، ومن ذلك المحاكاة، بأن يمشي متعارجاً أو مُطَأْطِئاً أو على غير ذلك من الهيئات، مريداً حكاية هيئة من يَتَنَقَّصُهُ بذلك،[٢] سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي بَدَنِ الشَّخْصِ كقولك(أعمى)، أَوْ دِينِهِ كقولك (فاسق)أَوْ دُنْيَاهُ كقولك (يتهاونُ بالناس) أَوْ نَفْسِهِ أَوْ خَلْقِهِ أَوْ خُلُقِهِ كقولك (متكبّر)، أَوْ مَالِهِ أَوْ وَالِدِهِ كقولك(أبوه فاسق) أَوْ وَلَدِهِ أَوْ زَوْجِهِ أَوْ خَادِمِهِ أَو ثَوْبه كقولك(وسخ الثوب) أَو حركته أَو طلاقته أَو عبوسته أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ،[٣] وَمِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ التَّعْرِيضَ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فِي التَّصَانِيفِ وَغَيْرِهَا كَقَوْلِهِمْ: قَالَ بَعْضُ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ، أَوْ بَعْضُ مَنْ يُنْسَبُ إِلَى الصَّلَاحِ، أو يَدّعي الزهدَ، أو بعض مَن مرّ بنا اليوم، أَوْ بعضَ مَن رأيناه، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَفْهَمُ السَّامِعُ الْمُرَادَ بِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِ اللَّهُ يُعَافِينَا، اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْنَا، الله يُصلحنا، الله يغفر لنا، الله يُصلحه، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ، نَسْأَلُ اللَّهَ العافية، نحمدُ الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة، نعوذ بالله من الشرّ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مما يفهم تنقُّصه، فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْغِيبَةِ، وهذه أمثلة وإلا فضابطُ الْغَيْبَة: كلّ ما أفهمت به غيرك من نقصان مسلم فهو غَيْبَة محرّمة، [٤] والغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها فيجب على من سمع إنسانا يبتدئ بغيبة محرّمة، أن ينهاه إن لم يَخَفْ ضرراً ظاهراً، فإن خافه وجب عليه الإنكارُ بقلبه، ومفارقةُ ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته، فإن قدر على الإنكار بلسانه، أو على قطع الغيبة بكلام آخر، لزمه ذلك، وإن لم يفعل عصى، فإن قال بلسانه: أسكتْ وهو يشتهي بقلبه استمرارُه، قال أبو حامد

(١) الرازي . مختار الصحاح (ص: ٢٣١) الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.
(٢) النووي . الأذكار (ص٣٣٨/٣٣٩) .
(٣) النووي . الأذكار (ص٣٣٦) .
(٤) النووي . الأذكار (ص٣٣٨/٣٣٩) ، ابن حجر . فتح الباري (٤٦٩/١٠) بتصرف.

الغزالي: ذلك نفاقٌ لا يخرجُه عن الإثم، ولا بدّ من كراهته بقلبه، ومتى اضطرّ إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه الغيبة، وعجز عن الإنكار، أو أنكر فلم يُقبل منه ولم يُمكنه المفارقة بطريق حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة، بل طريقه أن يذكرَ الله تعالى بلسانه وقلبه، أو بقلبه، أو يفكر في أمر آخر ليشتغل عن استماعها. (١)

وتُبَاحُ الْغِيبَةُ لِغَرَضٍ شَرْعِيٍّ وَذَلِكَ لِسِتَّةِ أَسْبَابٍ ذكرها النووي فقال: أَحَدُهَا التَّظَلُّمُ: فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ، وَالْقَاضِي، وَغَيْرِهِمَا مِمَّنْ لَهُ وِلَايَةٌ أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فَيَقُولُ: ظَلَمَنِي فُلَانٌ أَوْ فَعَلَ بِي كَذَا، الثَّانِي الِاسْتِغَاثَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ، وَرَدِّ الْعَاصِي إِلَى الصَّوَابِ، فَيَقُولُ: لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ فُلَانٌ يَعْمَلُ كَذَا فَازْجُرْهُ عَنِّي وَنَحْوُ ذَلِكَ، الثَّالِثُ الِاسْتِفْتَاءُ بِأَنْ يَقُولَ لِلْمُفْتِي: ظَلَمَنِي فُلَانٌ أَوْ أَبِي أَوْ أَخِي أَوْ زَوْجِي بِكَذَا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَرِيقِي فِي الْخَلَاصِ مِنْهُ، وَدَفْعِ ظُلْمِهِ عَنِّي؟ وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَهَذَا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ وَالْأَجْوَدُ أَنْ يَقُولَ: فِي رَجُلٍ أَوْ زَوْجٍ أَوْ وَالِدٍ وَوَلَدٍ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَالتَّعْيِينُ جَائِزٌ لِحَدِيثِ هِنْدٍ، وَقَوْلِهَا: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ (٢) الرَّابِعُ تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ، مِنْهَا : جَرْحُ الْمَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّوَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْمُصَنِّفِينَ، وَذَلِكَ جَائِزٌ بِالْإِجْمَاعِ، بَلْ وَاجِبٌ صَوْنًا لِلشَّرِيعَةِ، وَمِنْهَا :الْإِخْبَارُ بِعَيْبِهِ عِنْدَ الْمُشَاوَرَةِ فِي مواصلته، وَمِنْهَا :إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي شَيْئًا مَعِيبًا، أَوْ عَبْدًا سَارِقًا أَوْ زَانِيًا أَوْ شَارِبًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، تَذْكُرُهُ لِلْمُشْتَرِي إِذَا لَمْ يَعْلَمْهُ نَصِيحَةً لَا بِقَصْدِ الْإِيذَاءِ وَالْإِفْسَادِ، وَمِنْهَا: إِذَا رَأَيْتَ مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى فَاسِقٍ أَوْ مُبْتَدِعٍ يَأْخُذُ عَنْهُ

(١) النووي . الأذكار (ص٣٣٩) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كِتَاب البُيُوعِ، بَاب مَنْ أَجْرَى أَمْرَ الأَمْصَارِ عَلَى مَا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ: فِي البُيُوعِ وَالإِجَارَةِ وَالمِكْيَالِ وَالوَزْنِ، وَسُنَنِهِمْ عَلَى نِيَّاتِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمُ المَشْهُورَةِ، من رواية أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَتْ: هِنْدٌ أُمُّ مُعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا؟ قَالَ: «خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ» (٣/ ٧٩) (٢٢١١) .

عِلْمًا وَخِفْتَ عَلَيْهِ ضَرَرَهُ، فَعَلَيْكَ نَصِيحَتَهُ بِبَيَانِ حَالِهِ قَاصِدًا النَّصِيحَةَ، وَمِنْهَا: أَنْ يَكُونَ لَهُ وِلَايَةٌ لَا يَقُومُ بِهَا عَلَى وَجْهِهَا لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ أَوْ لِفِسْقِهِ فَيَذْكُرُهُ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ وِلَايَةٌ؛ لِيُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى حَالِهِ، فَلَا يَغْتَرُّ بِهِ وَيَلْزَمُ الِاسْتِقَامَةَ، الْخَامِسُ أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفِسْقِهِ، أَوْ بِدْعَتِهِ كَالْخَمْرِ، وَتَوَلِّي الْأُمُورِ الْبَاطِلَةِ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ وَلَا يَجُوزُ بِغَيْرِهِ إِلَّا بِسَبَبٍ آخَرَ ، السَّادِسُ التَّعْرِيفُ: فَإِذَا كَانَ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ كَالْأَعْمَشِ وَالْأَعْرَجِ وَالْأَزْرَقِ وَالْقَصِيرِ وَالْأَعْمَى وَالْأَقْطَعِ وَنَحْوِهَا، جَازَ تَعْرِيفُهُ بِهِ وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِهِ تَنَقُّصًا، وَلَوْ أَمْكَنَ التَّعْرِيفُ بِغَيْرِهِ كَانَ أَوْلَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(١)

والغيبة خطرة فقد لا يسلم منها حتى العلماء العاملين إلا من رحم الله، قيل: إذا قل عمل عبد ونقصت درجاته وأراد الله رفعهما أوقع العلماء العاملين في الغيبة فيه، فتنقلب أعمالهم التي تعبوا فيها طول عمرهم في صحائفه فيأخذ منها بقدر مظلمته، فيصبح أعلى مقاما منهم من حيث لا يشعر ولا يشعرون.(٢)

ولعظم وزر الغيبة وكثرة ما تحبط من الأجر كف جماعة من العلماء عن اغتياب جميع الناس، حتَّى لقد روي عن ابن المبارك أنه قال: لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت والديّ، فإنهما أحق الناس بحسناتي، وقال رجل لبعض السلف: إنك قلت فيَّ. قال: أنت إذًا أكرم عليَّ من نفسي. (٣)

المقصد من السؤال وثمرته: طرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤاله، مستفهما به عما لديهم من علم حول أمر حقيقته خطيرة إن لم يُتنبه له، وللمعلم طرح السؤال مستفهما به عما لديهم من علم حول ما يريد التنبيه عليه، ليتبين لهم حقيقته ومفهومه.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٤٣) .
(٢) ذكره المناوي وعزاه لعبد الحق السنباطي، ينظر فيض القدير (١٣٣/٣) .
(٣) ابن الملقن . التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٨/ ٣٨٠) .

المبحث الثاني: حقيقة النميمة

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»

تخريج الحديث: الحديث مداره على أَبَي إِسْحَاقَ عمرو بن عبد الله السبيعي، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عوف بن مالك بن نضلة الجشمي، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، رفعه إلى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْرَجَهُ مسلم في [1] كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَاب تَحْرِيم النَّمِيمَةِ من طريق شُعْبَة عن أَبَي إِسْحَاق عنه به.

السؤال المطروح: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ يسأل عن كبيرة من الكبائر لأنها؛ هي سبب للعذاب في القبر، [2] ومن أسباب حرمان دخول الجنة [3]وأداة مفرقة للأمة ممزقة لهم، فما هي؟ [4] فسرها في الحديث بقوله: «هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» وَتَقْدِيرُ الْحَدِيثِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ الْفَاحِشُ الْغَلِيظُ التَّحْرِيمُ.[5]

(١) الصحيح(٤/٢٠١٢) (٢٦٠٦) .

(٢) أخرج البخاري في الصحيح كِتَاب الجَنَائِزِ ، بَاب الجَرِيدِ عَلَى القَبْرِ ، من رواية ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا» (٢/ ٩٥) (١٣٦١) .

(٣) أخرج البخاري في الصحيح كِتَاب الأَدَبِ بَاب مَا يُكْرَهُ مِنَ النَّمِيمَةِ من رواية حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ» (٨/١٧) (٦٠٥٦) .

(٤) ابن عثيمين . شرح رياض الصالحين (٦/ ١٤٧) بتصرف، نشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ٦.

(٥) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٤٣) .

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: الْعِضَةُ رَوَوْهَا عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعِضَهُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ عَلَى وَزْنِ الْعِدَةِ وَالزِّنَةِ، وَالثَّانِي الْعَضْهُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَإِسْكَانِ الضَّادِ عَلَى وَزْنِ الْوَجْهِ، وَالثَّانِي هُوَ الْأَشْهَرُ عند أهل الحديث، [١] وَهِيَ: الْكَذِبُ وَالْبُهْتَانُ وَجَمْعُهَا عِضُونَ مِثْلُ عِزَةٍ وَعِزُونَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[الحجر: ٩١] قِيلَ: نُقْصَانُهُ الْوَاوُ وَهُوَ مِنْ عَضَوْتُهُ أَيْ فَرَّقْتُهُ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ فَرَّقُوا أَقَاوِيلَهُمْ فِيهِ، فَجَعَلُوهُ كَذِبًا وَسِحْرًا وَكَهَانَةً وَشِعْرًا. وَقِيلَ: نُقْصَانُهُ الْهَاءُ وَأَصْلُهُ عِضَهَةٌ لِأَنَّ الْعِضَةَ وَالْعِضِينَ فِي لُغَةِ قُرَيْشٍ السِّحْرُ، يَقُولُونَ لِلسَّاحِرِ: (عَاضِهٌ)، [٢]وقيل: الْعِضَةُ من القطع والتمزيق ومعنى الآية، أي: قطعًا وأجزاء، يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعضه، [٣] والنميمةُ كما عرفها النووي: ((نَقْلُ كَلَامِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ) [٤]، وقال ابن منظور: ((كَثْرَةُ القَوْلِ وإيقاع الْخُصُومَةِ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَحْكِي البعضُ عَنِ الْبَعْضِ))، [٥]فهي سبب لإفساد المجتمعات، وتدمير البيوتات فيها تفريق كالسحر. [٦]

النَّمِيمَةَ إِنَّمَا تُطْلَقُ فِي الْأَكْثَرِ عَلَى مَنْ يَنِمَّ قَوْلَ الْغَيْرِ إِلَى الْمَقُولِ فِيهِ، كَمَا تَقُولُ: فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ فِيكَ بِكَذَا، وَلَيْسَتِ النَّمِيمَةُ مَخْصُوصَةٌ بِهَذَا، بَلْ حَدُّ النَّمِيمَةِ: كَشْفُ مَا يُكْرَهُ كَشْفُهُ سَوَاءٌ كَرِهَهُ الْمَنْقُولُ عَنْهُ، أَوِ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ، أَوْ كَرِهَهُ ثَالِثٌ، وَسَوَاءٌ كان الكشف بالنكاية، أَوْ بِالرَّمْزِ ، أَوْ بِالْإِيمَاءِ، فَحَقِيقَةُ النَّمِيمَةِ: إِفْشَاءُ السِّرِّ وَهَتْكُ السِّتْرِ عَمَّا يُكْرَهُ كَشْفُهُ، فَلَوْ رَآهُ يُخْفِي مَالًا لِنَفْسِهِ فَذَكَرَهُ فَهُوَ نَمِيمَةٌ، وَكُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ، وَقِيلَ لَهُ فُلَانٌ يَقُولُ فِيكَ،

(١) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٤٣) .
(٢) الرازي . مختار الصحاح (ص: ٢١١) .
(٣) ابن عثيمين . شرح رياض الصالحين (٦/ ١٤٧) .
(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥٩/١٦) .
(٥) لسان العرب (١١/ ٥٧٤) .
(٦) نايف الشحود . المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه (٢/ ٤٧٦) المصدر: المصدر: الشاملة الذهبية.

أَوْ يَفْعَلُ فِيكَ كذا، فعليه ستة أمور : الأول أن لا يُصَدِّقَهُ لِأَنَّ النَّمَّامَ فَاسِقٌ، الثَّانِي أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْصَحَهُ وَيُقَبِّحَ لَهُ فِعْلَهُ، الثَّالِثُ أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ بَغِيضٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَجِبُ بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُ الله تعالى، الرابع أن لا يظن بأخيه الغائب السوء، الخامس أن لا يَحْمِلَهُ مَا حُكِيَ لَهُ عَلَى التَّجَسُّسِ وَالْبَحْثِ عن ذلك، السادس أن لا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مَا نُهِيَ النَّمَّامُ عَنْهُ، فَلَا يَحْكِي نَمِيمَتَهُ عَنْهُ فَيَقُولُ فُلَانٌ حَكَى كَذَا فَيَصِيرُ بِهِ نَمَّامًا وَيَكُونُ آتِيًا مَا نُهِيَ عَنْهُ. (١)وَكُلُّ هَذَا الْمَذْكُورِ فِي النَّمِيمَةِ إذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ، فَإِنْ دَعَتْ حَاجَةٌ إلَيْهَا فَلَا مَنْعَ مِنْهَا ،وَذَلِكَ كَمَا إذَا أَخْبَرَهُ بِأَنَّ إنْسَانًا يُرِيدُ الْفَتْكَ بِهِ أَوْ بأهله أو بماله، أو أخبر الامام أومن لَهُ وِلَايَةٌ بِأَنَّ إنْسَانًا يَفْعَلُ كَذَا وَيَسْعَى بِمَا فِيهِ مَفْسَدَةٌ، وَيَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الْوِلَايَةِ الْكَشْفُ عَنْ ذَلِكَ وَإِزَالَتُهُ، فَكُلُّ هَذَا وَمَا أشبهه لَيْسَ بِحَرَامٍ، وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُهُ وَاجِبًا، وَبَعْضُهُ مُسْتَحَبًّا، عَلَى حَسَبِ الْمَوَاطِنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(٢)

وَاخْتُلِفَ فِي الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ هَلْ هُمَا مُتَغَايِرَتَانِ؟ أَوْ مُتَّحِدَتَانِ؟ وَالرَّاجِحُ التَّغَايُرُ ، وَأَنَّ بَيْنَهُمَا عُمُومًا وَخُصُوصًا وَجْهِيًّا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّمِيمَةَ نَقْلُ حَالِ الشَّخْصِ لِغَيْرِهِ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ بِغَيْرِ رِضَاهُ سَوَاءٌ كَانَ بِعِلْمِهِ أَمْ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، وَالْغِيبَةُ ذِكْرُهُ فِي غِيبَتِهِ بِمَا لَا يُرْضِيهِ، فَامْتَازَتِ النَّمِيمَةُ بِقَصْدِ الْإِفْسَادِ، وَلَا يُشْتَرَطُ ذَلِكَ فِي الْغِيبَةِ، وَامْتَازَتِ الْغِيبَةُ بِكَوْنِهَا فِي غِيبَةِ الْمَقُولِ فِيهِ، وَاشْتَرَكَتَا فِيمَا عَدَا ذَلِكَ، وَمَنِ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَشْتَرِطُ فِي الْغِيبَةِ أَنْ يَكُونَ الْمَقُول فِيهِ غَائِبا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (٣)

المقصد من السؤال وثمرته: طرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤاله، مستفهما به عما لديهم من علم حول أمر حقيقته خطيرة إن لم يُتنبه له،

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٦) ، واختصره النووي في المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١٢/٢) .
(٢) النووي في المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١٣/٢) .
(٣) ابن حجر . فتح الباري (١٠/ ٤٧٣) .

كالحديث السابق بل هو أشد خطرا؛ لأن شره يعم المجتمع، وللمعلم طرح السؤال مستفهما به عما لديهم من علم حول ما يريد التنبيه عليه، ليتبين لهم حقيقته ومفهومه.

المبحث الثالث: حقيقة الأمل

عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطًّا وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ وَخُطُوطًا إِلَى جَانِبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَخَطًّا خَارِجًا مِنَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالُوا: اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا الْإِنْسَانُ الْخَطُّ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ إِلَى جَنْبِهِ الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ – أَوْ تَنْهَسُهُ – مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، [1] فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا أَصَابَهُ هَذَا، وَالْخَطُّ الْمُرَبَّعُ، الْأَجَلُ الْمُحِيطُ، وَالْخَطُّ الْخَارِجُ الْأَمَلُ»

تخريج الحديث: الحديث ورد الاستفسار فيه في طريق ابن ماجه، ومداره على يَحْيَى بْن سَعِيدٍ عن سُفْيَان عَنِ أَبِيه، عَنْ أَبِي يَعْلَى، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنِ عَبْدِ اللَّـه بْنِ مَسْعُود، مرفوعا إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ البخاري في [2]كِتَاب الرِّقَاقِ بَاب فِي الأَمَلِ وَطُولِهِ، من طريق صَدَقَةُ بْنُ الفَضْلِ، والترمذي في [3] أَبْوَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طريق مُحَمَّد بْن بَشَّارٍ، وابن ماجه في [4] كِتَاب الزُّهْدِ بَاب الْأَمَلِ وَالْأَجَلِ من طريق أَبِي بِشْرٍ بَكْرُ بْنُ خَلَفٍ، وَأَبِي بَكْرِ بْن خَلَّاد الْبَاهِلِيُّ، و(صَدَقَةُ بْنُ الفَضْلِ، مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، أَبُو بِشْرٍ بَكْرُ بْنُ خَلَفٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ) جميعهم عن يَحْيَى بْن سَعِيدٍ عنه به.

---

(١) أَيِ: الْأُمُورُ الَّتِي تَعْرِضُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَحْوَالِ الْمُتَغَيِّرَةِ وَالْآفَاتِ «تَنْهَشُهُ، أَوْ تَنْهَسُهُ» أَحَدُهُمَا بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَالثَّانِية بِالْمُهْمَلَةِ وَمَعْنَاهُمَا قَرِيبٌ، بَلْ وَاحِدٌ وَهُوَ الْأَخْذُ بِالْأَسْنَانِ، ينظر السندي . كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه (٢/ ٥٥٨) .

(٢) الصحيح (٨/٨٩) (٦٤١٧) .

(٣) السنن (٤/ ٦٣٥) (٢٤٥٤) .

(٤) السنن (٢/ ١٤١٤) (٤٢٣١) .

السؤال المطروح: رسم النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطوطا على سبيل التَمْثِيل، والأمثال حِكْمَة الْعَرَب، بهَا ينْكَشف الشَّيْء الْخَفي، ثم سأل عن المراد بها، بقوله: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟»، ثم أخْبر صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَن أمل الْآدَمِيّ بَين يَدَيْهِ، وعينه إِلَى الأمل، وَالْأَجَل مُحِيط بِهِ، وَقد ألهاه أمله عَن أَجله. (١)

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: ما رسمه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي خطوط، يمثل بها أمل ابن آدَمَ، وأجله، وأعراض الدنيا التي لا تفارقه، فجعل أجله الخط المحيط، بحيث لا يمكنه الفرار والخروج منه، وأعْرَاضُه أي: الآفات والعاهات من المرض والجوع والعطش، وغيرها من العلل والحوادث، متصلةٌ به، والقَدْرُ الخارج من المربع أمله البعيد، ومعلوم في العقول أن ذلك الخط المحيط به الذي هو أجله، أقرب إليه من الخطوط الخارجة منه، بدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هَذَا الأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الخَطُّ الأَقْرَبُ» (٢) يريد أجله؟ وفى هذا تنبيه من النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته على تقصير الْأَمَلِ، واستشعار الأجل خوف بغتته، ومن غيب عنه أجله، فهو حرى بتوقعه وانتظاره خشية هجومه عليه في حال غرة وغفلة، ونعوذ بالله من ذلك، فَلْيُرِضْ المؤمن نفسه على استشعار ما نُبه عليه، ويجاهد أمله وهواه ويستعين بالله على ذلك. (٣)

إن ابن آدَمَ مجبول على الأَمَلِ كما قَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ»، (٤) وَالْمُرَادُ بِه

(١) ينظر ابن الجوزي . كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٣١٦) نشر: دار الوطن – الرياض، عدد الأجزاء: ٤، السندي . كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه (٢/ ٥٥٨) .

(٢) أخرجها البخاري من رواية أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كِتَابُ الرِّقَاقِ بَابُ فِي الأَمَلِ وَطُولِهِ . الصحيح (٨/ ٨٩) (٦٤١٨) .

(٣) ينظر ابن بطال . شرح صحيح البخاري (١٠/ ١٥٠) ، المُظْهِري . المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٣٠٠) بتصرف.

(٤) الحديث أخرجه البخاري من رواية أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيح كِتَاب الرِّقَاقِ بَابُ مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً، فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي العُمُرِ (٨/٨٩) (٦٤٢٠) ، وينظر ابن بطال . شرح صحيح البخاري (١٠/ ١٥٠) .

هُنَا طُولُ الْأَمَلِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا غَافِلًا عَنِ الِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ،[١] والْأَمَلُ مذموم لجميع الناس إلا العلماء، فلولا أملهم وطوله؛ لما صنفوا، ولما ألفوا، [٢]، فَطُولُ الْأَمَلِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، مَحْمُودٌ بِالْإِجْمَاعِ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ»[٣] وَقَالَ: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»[٤]

ـ الْمَقْصُودُ مِنَ الْحَدِيثِ التَّعَجُّبُ مِنْ حَالِ الْإِنْسَانِ وَأَنَّهُ لَا يَفُوتُ الْأَجَلَ لِكَوْنِهِ مُحِيطًا بِهِ مِنَ الْجَوَانِبِ كُلِّهَا وهو أقرب إليه من الْأَمَل وَأَنَّهُ مَعْرُوضٌ لِلْأَعْرَاضِ قَبْلَ ذَلِكَ وَمَعَ ذَلِكَ يُؤَمِّلُ أَمَلًا قَدْ جَاوَزَ أَجَلَهُ، أي يموت قبل أن يصل إلى أمله، والموت قاطع آمال الإنسان، [٥]لذلك ينبغي أن يكون أمل المؤمن مقيد بالشرع في تَحْصِيلِ الْعُلُومِ، وَتَكْثِيرِ الْأَعْمَالِ الصَالِحَةِ، وَهَذَا

(١) علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٩٦) .
(٢) ابن الملقن . التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٩/ ٤٠٦) .
(٣) الحديث أخرجه الترمذي بسند حسن في السنن (٥٦٥/٤) (٢٣٢٩) أَبْوَاب الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاب مَا جَاءَ فِي طُولِ العُمْرِ لِلْمُؤْمِنِ، من رواية عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ» فيه زَيْدُ بْنُ حُبَابٍ قال ابن حجر: ((صدوق يخطئ في حديث الثوري)) التقريب (٢٢٢) ، وهذا الحديث لم يكن من طريق الثوري، وفيه مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ قال عنه ابن حجر: ((صدوق له أوهام)) التقريب (٥٣٨) ، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٣٢٩) برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
(٤) أخرجه مسلم في الصحيح ، كِتَاب الصِّيَامِ، بَاب أَيُّ يَوْمٍ يُصَامُ فِي عَاشُورَاءَ، من رواية عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (٢/ ٧٩٨) (١٣٤) ، وينظر علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٩٦) .
(٥) القاضي عياض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ١٤١) ، السندي . كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه (٢/ ٥٥٨) ، بتصرف يسير.

مُسْتَحْسَنٌ بِلَا نِزَاعٍ، ولا يكون في جَمْعِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ الْجَاهِ وَالْإِقْبَالُ على الدُّنْيَا. (١)

المقصد من السؤال وثمرته: طرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤاله بعد أن استخدم أمرا محسوسا وهو الرسم؛ ليبين لهم حقيقة الأمل الزائف في الدنيا، فللمعلم أن يشد الانتباه بحاسة السمع والبصر في آن واحد فيكون أجدى في لفت الانتباه وثبات المعلومة.

المبحث الرابع: حقيقة المفلس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّار»

تخريج الحديث: الحديث مداره على، الْعَلَاء بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مرفوعا إلى رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم، أَخْرَجَهُ مسلم في (٢) كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ من طريق إِسْمَاعِيلُ بْن جَعْفَرٍ، وَأَخْرَجَهُ الترمذي في (٣)أَبْوَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الْحِسَابِ وَالْقِصَاصِ من طريق عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، و(إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ) كلاهما عن الْعَلَاء بْنِ عَبْد الرَّحْمَنِ، عنه به.

(١) علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٩٦) بتصرف.
(٢) الصحيح (١٩٩٧/٤) (٢٥٨١) .
(٣) السنن (٦١٣/٤) (٢٤١٨) .

السؤال المطروح: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» يسأل النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَصْفِ الْمُفْلِسِ لَا عَنْ حَقِيقَتِهِ، وَهَذَا سُؤَالُ إِرْشَادٍ لَا اسْتِعْلَامٍ، (١) وَمِنْ ثَمَّ أَجَابَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَصْفِهِ فِي قَوْلِهِ: شَتْمٌ وَأَكْلٌ وَقَذْفٌ. (٢)

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: إنَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ مَالٌ، وَمَنْ قَلَّ مَالُهُ، فَالنَّاسُ يُسَمُّونَهُ مُفْلِسًا، وَلَيْسَ هَذَا المقصود ؛ لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ يَزُولُ وَيَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ، وَرُبَّمَا يَنْقَطِعُ بِيَسَارٍ يَحْصُلُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ، وَإِنَّمَا الْمُفْلِسِ الْحَقِيقِيُّ أَوِ الْمُفْلِسُ فِي الْآخِرَةِ الْمَذْكُورِ فِي الْحَدِيثِ هُوَ الْهَالِكُ الْهَلَاكَ التَّامَّ، فَمن كانت له حسنات وللناس عليه تباعات، تُؤْخَذُ حَسَنَاتُهُ لِغُرَمَائِهِ فَإِذَا فَرَغَتْ حَسَنَاتُهُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَوُضِعَ عَلَيْهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ فَتَمَّتْ خَسَارَتُهُ وَهَلَاكُهُ، وَتأبد إِفْلَاسُهُ، وأيس من فلاحه وانجبار حاله، إلا ما يكون بعد مما تفضل الله به من إخراج المذنبين وإدخالهم الجنة، بعد الأمر الذى قدره الله في هَذَا البوار، نعوذ بالله من فلس الدنيا والآخرة. (٣)

ـ هَذَا الحديث يقتضي أن القصاص يأتي على جميع الحسنات، حتى لا يبقى منها شيء، فينبغي لمن عليه مظالم أن يستكثر من الحسنات،(٤) وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَا الحديث وَبَيْنَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤] لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُعَاقَبُ بِسَبَبِ فِعْلِهِ وَظُلْمِهِ وَلَمْ يُعَاقَبْ بِغَيْرِ جِنَايَةٍ مِنْهُ بَلْ بِجِنَايَتِهِ، فَقُوبِلَتِ الْحَسَنَاتُ بِالسَّيِّئَاتِ عَلَى مَا اقْتَضَاهُ عَدْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ. (٥)

---

(١) الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (١٠/ ٣٢٥٥) .
(٢) علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٠١) .
(٣) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٥٠) ، النووي ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٣٥) ، الطيبي . شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (١٠/ ٣٢٥٥) .
(٤) يحيى بن هُبَيْرَة . الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٧٨) .
(٥) القاضي عياض . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٠) ، النووي ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/ ١٣٥) ، ابن حجر . فتح الباري (٥/ ١٠٢) .

ـ أَنَّ جَمِيعَ الْعِبَادَاتِ تُوَفَّى مِنْهَا مَظَالِمُ الْعِبَادِ إِلَّا الصِّيَامَ رُوَى ذَلِكَ عَن بن عُيَيْنَةَ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُحَاسِبُ اللَّهُ عَبْدَهُ وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِمِ مِنْ عَمَلِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ إِلَّا الصَّوْمُ فَيَتَحَمَّلُ اللَّهُ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِمِ وَيُدْخِلُهُ بِالصَّوْمِ الْجَنَّةَ، ولكن رُد عليه بهذا الحديث لورود الصَّوْمِ فِي جُمْلَةِ الْأَعْمَالِ، قال ابن حجر: أَن ثَبت قَول بن عُيَيْنَةَ أَمْكَنَ تَخْصِيصُ الصِّيَامِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ يُسْتَدَلُّ لَهُ بِمَا رَوَاهُ أَبِو هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ « كُلُّ الْعَمَلِ كَفَّارَةٌ، إِلَّا الصَّوْمَ، وَالصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ». [1]فيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ كَفَّارَةٌ وَزِيَادَةُ ثَوَابٍ عَلَى الْكَفَّارَةِ وَيَكُونَ الْمُرَادُ بِالصِّيَامِ الَّذِي هَذَا شَأْنُهُ مَا وَقَعَ خَالِصًا سَالِمًا مِنَ الرِّيَاءِ والشوائب وَالله أعلم.[2]

ـ الحديث فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُ لَا عَفْوَ وَلَا شَفَاعَةَ فِي حُقُوقِ الْعِبَادِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ يرْضَى خَصْمُهُ بِمَا أَرَادَ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَحد الْأَمْرَيْنِ إِمَّا أَخْذَ الْحَسَنَاتِ وَإِمَّا وَضْعَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ خِفَّةُ مِيزَانِ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ فَيُعَذَّبُ بِقَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِسَبَبِ الْحَسَنَاتِ الْبَاقِيَةِ إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ، وَإِلَّا بِبَرَكَةِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا. [3]

ـ أراد رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينبه على أمر أهم، وهو أن الإنسان يتعب في تحصيل الْحَسَنَاتِ ثم يفرقها ويوزعها بحيث لا يبقى منها شيء، هَذَا هُو الْمُفْلِسِ الحَقِيقِي، أما من جمع الدراهم والدنانير ثم فرقها هَذَا أمره سهل، هَذَا خسر شيء من الدنيا وذاك خسر الآخرة. [4]

---

(١) الحديث أخرجه أحمد بسند صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «كُلُّ الْعَمَلِ كَفَّارَةٌ، إِلَّا الصَّوْمَ، وَالصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» مسند أبي هريرة (١٦/ ٧٥) (١٠٠٢٥) ، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ينظر فتح الباري (٤/ ١٠٩) .

(٢) فتح الباري (٤/ ١١١) .

(٣) علي الهروي . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٠٢) بتصرف يسير.

(٤) عبد الكريم الخضير . شرح سنن الترمذي (٢٨/١٢) نسخة الشاملة.

المقصد من السؤال وثمرته: طرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤال ارشادي، ليبين لهم أن الخسارة الحقيقية في الأخرة لمن فرط في الدنيا، وللمعلم طرح الأسئلة الإرشادية؛ ليقلب لهم الحقائق المغلوطة ويصححها.

المبحث الخامس: الهدي النبوي في تحية اليهود

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَعَلَيْكَ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَقْتُلُهُ؟ قَالَ: «لاَ، إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ، فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ».

تخريج الحديث: الحديث مداره على شُعْبَة، عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عن جده أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رفعه إلى برَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَهُ البخاري في [1]كِتَاب اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ بَاب إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُصَرِّحْ، نَحْوَ قَوْلِهِ: السَّامُ عَلَيْكَ، من طريق عَبْدُ اللَّهِ بْن الْمُبَارك، و(عَبْدُ اللَّهِ بْن الْمُبَارك) عن شُعْبَة عنه به.

السؤال المطروح: «أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟ يستفسر النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن كان من سمع من الصحابة رضوان الله عليهم فَقِه قول اليهودي أو لا؟ لأن المسلم ينبغي أن يكون كَيِّس فطن، وقد ورد سببا لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رواية: ردهم عليه بالسلام دون انتباه منهم لحقيقة قوله. [2]

---

(١) الصحيح (١٥/٩) (٦٩٢٦) .

(٢) الرواية أخرجها البزار بسند رواته ثقات، من رواية قَتادة، عَن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم فِي مَجْلِسٍ، فَمَرَّ يَهُودِيٌّ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا قَالَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، سَلَّمَ، قَالَ: فَإِنَّهُ قَالَ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، أَيْ تسامونَ دِينَكُمْ، رُدُّوهُ عَلَيْهِ، قَالُوا: كَيْفَ؟ قَالَ: قُولُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: عَلَيْكُمْ» – أَيْ: عَلَيْكُمْ مَا قُلْتُمْ، مسند أنس بن مالك، =

حقيقة السؤال وما يكمن خلفه: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا سَلَّمُوا، ولكن لا يقال لَهُمْ وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ بَلْ يُقَالُ عَلَيْكُمْ فَقَطْ أَوْ وَعَلَيْكُمْ، فقَدْ اخْتَلَفَتْ طُرُقُ الْحَدِيثِ فِي إِثْبَاتِ الْوَاوِ وَحَذْفِهَا وَأَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ بِإِثْبَاتِهَا، ففي هذا الحَدِيثِ «فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ» وَفِي غَيره: «عَلَيْكُم» [1] وَعَلَى هَذَا ففِي مَعْنَاهُ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْوَاوَ هُنَا تَقْتَضِي التَّشْرِيك، فمَعْنَاهُ: أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ فَقَالُوا: عَلَيْكُمُ الْمَوْتُ، فَقَالَ: وَعَلَيْكُمْ أَيْضًا أَيْ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ وَكُلُّنَا نَمُوتُ، [2] وَقِيل: أَنَّ الْوَاوَ هُنَا لِلِاسْتِئْنَافِ لَا لِلْعَطْفِ وَالتَّشْرِيكِ وَتَقْدِيرُهُ وَعَلَيْكُمْ مَا تَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ الذَّمِّ. [3]

. اُخْتُلِفَ فِي مَعْنَى السَّامِ فِي قَوْلِ الْيَهُودِ «السَّامُ عَلَيْكُمْ:» فَقَالَ الْجُمْهُورُ مُرَادُهُمْ بِهِ الْمَوْتُ، [4] وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً إِلَّا السَّامُ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا السَّامُ قَالَ: الْمَوْتُ»، [5]وَقِيلَ هُوَ الْمَوْتُ

=

البحر الزخار (١٣/ ٣٩٨) (٧٠٩٧) ، قال الهيثمي بعد أن عزاها للبزار: ((ورجاله رجال الصحيح)) مجمع الزوائد (٨/ ٨٣) (١٢٧٩٤) نشر: دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ.

(١) كالرواية التي أخرجها أحمد بسند رجاله ثقات من رواية أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: عَلَيْكُمْ» مسند أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه (٢٠/ ٤٣٣) (١٣٢١١) .

(٢) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/ ١٤٤) ، الكرماني . الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٤٨) ، العيني . عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٨٣) نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) النووي . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/ ١٤٤) .

(٤) المازري . المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٥٢) ، ابن الأثير . النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٢٨) ، الطيبي . شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣٠٤١) ، الكرماني . الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٤٨) .

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه في السنن كِتَاب الطِّبِّ، بَاب مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً بسند رواته ثقات من رواية عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً» (٢/ ١١٣٨) (٣٤٣٨) .

الْعَاجِلُ، [١] وَقِيلَ: مُرَادُهُمْ بِالسَّامِ السَّآمَةُ وَهِيَ الْمَلَالُ وَأَنَّ مَعْنَاهُ تَسْأَمُونَ دِينَكُمْ[٢] وَهَذَا تَأْوِيلُ قَتَادَةَ، وَهُوَ مَصْدَرُ سَئِمْت سَآمَةً وَسَآمًا مِثْلَ لَدَادَةٍ وَلَدَادٍ وَرَضَاعَةٍ وَرَضَاعٍ،[٣] قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا مُفَسَّرًا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ مَخْلَدٍ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّهُ قَالَ فِي مَعْنَاهُ تَسْأَمُونَ دِينَكُمْ،[٤] قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَتُسَهَّلُ هَمْزَةُ سَآمٍ وَسَآمَةٍ. [٥]

اتفقوا على أن سب النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صريحا كفر يقتل به المسلم، والذمي، وترك النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل الْقَائِل بقوله: السام عَلَيْك، وَهَذَا من رفقه وَصَبره على أَذَى الْكفَّار، والأنبياء عَلَيْهِم السَّلَام، كَانُوا مأمورين بِالصبرِ. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الأحقاف: ٣٥]، [٦]وقيل: لأنه كان أول الإسلام والنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤلف القلوب فلم يقتله كما لم يقتل المنافقين،

(١) ابن حجر . فتح الباري (١١/ ٤٢) .
(٢) القاضي عياض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٠٢) ، ابن الأثير . النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٢٨) ، الكرماني . الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٤٨) .
(٣) الخطابي . غريب الحديث (١/ ٣٢٠) نشر: دار الفكر – دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، ابن حجر . فتح الباري (٤٣/١١) .
(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٤٩) .
(٥) ورد هذا التفسير في الحديث الذي أخرجه البزار وسبق الإشارة إليه في بيان سبب قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول السؤال، وينظر القرطبي . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٤٩٠) ، العراقي . طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ١١٠) ، ابن حجر . فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٢) .
(٦) الكرماني . الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٤٨) ، العيني . عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٨٤) .

أو لأنه كان يلوي لسانه فيه كما هو عادتهم، أو لأنه كان دعاء بما لا بد منه وهو الموت. (١)

المقصد من السؤال وثمرته: طرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤاله؛ لينبه على ما يضمر اليهود للمسلمين، وللمعلم تنبيه السامع بطرح الأسئلة؛ ليكون أكثر حيطة و أشد حذرا.

صيغ استفسارات النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الواردة في البحث

أَتَدْرُونَ مَا	أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا	اكْتُبُوا لِي مَنْ	هَلْ تَدْرُونَ بِمَ	هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ	هَلْ تَدْرِي مَا	أَتَدْرِي أَيُّ

(١) الكرماني . الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٤٨) .

النتائج

١) حوى البحث على اثنين وعشرين حديثا، منها سبعة أحاديث فيما يخص العبادات، وعشرة أحاديث تخص الأمور الغيبية، وخمسة أحاديث تخص الآداب.

٢) أدب صحابة رسول الله ففي أغلب الأسئلة كان ردهم اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

٣) أَنَّ بَعْضَ أَسْمَاء الله جل جلاله أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَأَنَّ بَعْضَ صِفَاتِهِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَبَعْضُ أَفْعَالِهِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ سبحانه وتعالى جل في علاه.

٤) تعددت أقوال العلماء فِي الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ هَلْ هُمَا مُتَغَايِرَتَانِ؟ أَوْ مُتَّحِدَتَانِ؟ وَالرَّاجِحُ التَّغَايُرُ، وَأَنَّ بَيْنَهُمَا عُمُومًا وَخُصُوصًا وَجْهِيًّا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّمِيمَةَ نَقْلُ حَالِ الشَّخْصِ لِغَيْرِهِ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ بِغَيْرِ رِضَاهُ سَوَاءٌ كَانَ بِعِلْمِهِ أَمْ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، وَالْغِيبَةُ ذِكْرُهُ فِي غِيبَتِهِ بِمَا لَا يُرْضِيهِ، فَامْتَازَتِ النَّمِيمَةُ بِقَصْدِ الْإِفْسَادِ، وَلَا يُشْتَرَطُ ذَلِكَ فِي الْغِيبَةِ، وَامْتَازَتِ الْغِيبَةُ بِكَوْنِهَا فِي غِيبَةِ الْمَقُولِ فِيهِ، وَاشْتَرَكَتَا فِيمَا عَدَا ذَلِكَ.

٥) يَنْبَغِي لِمَنْ حَضَرَ مَجْلِسَ الْعَالِمِ إِذَا عَلِمَ بِأَهْلِ الْمَجْلِسِ حَاجَةً إِلَى مَسْأَلَةٍ لَا يَسْأَلُونَ عَنْهَا، أَنْ يَسْأَلَ هُوَ عَنْهَا؛ لِيَحْصُلَ الْجَوَابُ لِلْجَمِيعِ، وَيَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَرْفُقَ بِالسَّائِلِ وَيُدْنِيَهُ مِنْهُ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ سُؤَالِهِ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا مُنْقَبِضٍ، وَيَنْبَغِي لِلسَّائِلِ أَنْ يَرْفُقَ فِي سُؤَالِهِ.

٦) أَنَّ مَنْ طَلَبَ مِنْ كَبِيرٍ أَمْرًا مُهِمًّا أَنْ يُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْ سُؤَالِهِ وَصْفَ الْمَسْئُولِ بِأَحْسَنِ صِفَاتِهِ، وَأَشْرَفِ مَزَايَاهُ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لِإِجَابَتِهِ لسؤاله، وَأَن المسؤول إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَحْصِيلِ مَا سُئِلَ يَعْتَذِرُ بِمَا يُقْبَلُ مِنْهُ، وَيَدُلُّ عَلَى مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَكْمُلُ فِي الْقِيَامِ بِذَلِكَ، فَالدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ.

٧) أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَصْحِبُونَ حَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ التَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَوَائِجِهِمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ؛ وَالْبَاعِثُ عَلَى ذَلِكَ الْإِلْهَامُ، وَيَسْتَشِيرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُجْمِعُونَ عَلَى الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ، وَيُغَطَّى عَنْهُمْ بَعْضُ مَا عَلِمُوهُ فِي الدُّنْيَا من معاصي، فمع علمهم بأنه لا يقوم بين يدي الله جل جلاله في

ذلك الموقف العظيم يوم القيامة إلا رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أنهم يبدؤون بغيره.

٨) يُظهر الله جل جلاله عدله لعباده في ذلك الموقف العظيم عندما يناجيهم، ومن عدله أن تشهد جوارحُ العبد بذنوبه.

التوصيات:

١) **جمع ماورد من استفسارات رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من باقي كتب السنة.**

فهرس المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. : المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه لعلي بن نايف الشحود، المصدر: الشاملة الذهبية.
٣. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس).
٤. الاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠عدد الأجزاء: ٩.
٥. إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، نشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
٦. الأذكار لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٧. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، نشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم مسلسل واحد).
٨. الإفصاح عن معاني الصحاح لأبي المظفر يحيى بن هُبَيْرَة عون الدين (المتوفى: ٥٦٠هـ)، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، نشر: دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧هـ عدد الأجزاء: ٨.
٩. الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، نشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٨.

١٠. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر جابر بن موسى الجزائري، نشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٥.
١١. التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير لأبي إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق، نشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض – المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م، عدد الأجزاء: ٧.
١٢. التوضيح لشرح الجامع الصحيح لأبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ابن الملقن سراج الدين (المتوفى: ٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، نشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٣٦ (٣٣ و٣ أجزاء للفهارس).
١٣. تأصيل الوسائل التعليمية في السنة النبوية، لعبدالكريم الخطيب . بحث منشور في مجلة التراث النبوي (العددان الأول والثاني)١٤٣٩هـ .
١٤. تاج العروس من جواهر القاموس لأبي الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية.
١٥. تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ١.
١٦. الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) لمعمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، عدد الأجزاء: ٢ (الأجزاء ١٠، ١١ من المصنف).
١٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة

(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، لطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

١٨. جامع غريب الحديث المصدر: الشاملة الذهبية.

١٩. حاشية السندي على سنن ابن ماجه – كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه لنور الدين محمد بن عبد الهادي، أبو الحسن، السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، نشر: دار الجيل – بيروت، بدون طبعة، (نفس صفحات دار الفكر، الطبعة – الثانية).

٢٠. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي بن محمد الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٨.

٢١. سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.

٢٢. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

٢٣. سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

٢٤. شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، نشر: مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.

٢٥. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، عدد

الأجزاء: ١٣ (١٢ ومجلد للفهارس) (في ترقيم مسلسل واحد)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٦. شرح رياض الصالحين لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، نشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ٦.
٢٧. شرح سنن أبي داود لأبي محمد محمود بن أحمد بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، نشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٧ (٦ ومجلد فهارس).
٢٨. شرح سنن أبي داود لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان الشافعي (المتوفى: ٨٤٤ هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، نشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م، عدد الأجزاء: ٢٠ (الأخير فهارس)
٢٩. شرح سنن أبي داود لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن العباد البدر، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .http://www.islamweb.net
٣٠. شرح سنن الترمذي – عبد الكريم الخضير، بترقيم الشاملة آليا، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.
٣١. شرح صحيح البخارى لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٠.
٣٢. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِمِ لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض، (المتوفى: ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إسْمَاعِيل، نشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر
٣٣. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان، نشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

٣٤. صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، نشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

٣٥. صحيح وضعيف سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٣٦. طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد) لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، أكمله ابنه: أبو زرعة ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى: ٨٢٦هـ)، نشر: الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي)، عدد المجلدات: ٨.

٣٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد الحنفى العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥ × ١٢.

٣٨. العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

٣٩. غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)، تحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، نشر: دار الفكر – دمشق، عام النشر: ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ٣.

٤٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، نشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.

٤١. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، نشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: ١٣.
٤٢. فتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، نشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٠.
٤٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، نشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦، عدد الأجزاء: ٦.
٤٤. القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، لأبي بكر القاضي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، نشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٣ (في ترقيم مسلسل واحد).
٤٥. القول السديد شرح كتاب التوحيد لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، نشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ، عدد الصفحات: ٢٢٣، عدد الأجزاء: ١.
٤٦. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد بن يوسف بن علي الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ٢٥.
٤٧. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣ هـ، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م عدد الأجزاء: ١١.

٤٨. كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، نشر: دار الوطن – الرياض، عدد الأجزاء: ٤.
٤٩. التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، نشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.
٥٠. لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، نشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
٥١. لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح لعبد الحق بن سيف الدين البخاري الحنفي والمتوفى سنة (١٠٥٢ هـ)، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، نشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤ م، عدد الأجزاء: ١٠.
٥٢. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ٩ (٨ ومجلد للفهارس).
٥٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ، عدد الأجزاء: ١٠.
٥٤. مجموع الفتاوى لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٥٥. مختار الصحاح لأبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

٥٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن نور الدين علي بن سلطان الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.
٥٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٥٨. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، نشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، عدد الأجزاء: ١٨.
٥٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥.
٦٠. مشارق الأنوار على صحاح الآثار لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي، (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء: ٢.
٦١. مصابيح الجامع لمحمد بن أبي بكر بن عمر، بدر الدين المعروف بالدماميني (المتوفى: ٨٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، نشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ١٠.
٦٢. المُعْلم بفوائد مسلم لأبي عبد الله محمد بن علي المازري المالكي (المتوفى: ٥٣٦هـ)، تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، نشر: الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق

والدّراسات بيت الحكمة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٣.

٦٣. المفاتيح في شرح المصابيح لمظهر الدين الحسين بن محمود بن الحسن الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ) تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، نشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م، عدد الأجزاء: ٦.

٦٤. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٥٧٨ – ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، نشر: (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٧.

٦٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

٦٦. موسوعة محمد ناصر الدين الألباني «موسوعة تحتوي على أكثر من (٥٠) عملاً ودراسة حول الألباني وتراثه»، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، صَنَعَهُ: شادي ابن محمد آل نعمان، نشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م، عدد الأجزاء: ٩.

٦٧. النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات مجد الدين المبارك الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، نشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

References :

1. alquran alkarim
2. : almufasal fi sharh hadith min badal dinih faqtaluh lieali bin nayif alshahuda, almusadari: alshaamilat aldhahabiati.
3. al'iihsan fi taqrib sahih aibn hibaan li'abi hatim muhamad bin hibaan bin 'ahmad bin hiban, (almutawafaa: 354hi), tartibi: al'amir eala' aldiyn eali bin balban alfarisii (almutawafaa: 739 hu), haqaqah wakharaj 'ahadithah waealaq ealayhi: shueayb al'arnawuwta, nashra: muasasat alrisalati, bayrut, altabeata: al'uwlaa, 1408 hi - 1988 mu, eadad al'ajza'i: 18 (17 juz' wamujalad fahars).
4. aliastidhkar li'abi eumar yusif bin eabd allh bin eabd albiri alnamirii alqurtibii (almutawafaa: 463hi), tahqiqu: salim muhamad eataa, muhamad eali mueawad, nashra: dar alkutub aleilmiat - bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 1421 - 2000

eadad al'ajza'i: 9.

5. 'iihya' eulum aldiyn li'abi hamid muhamad bin muhamad alghazalii altuwsii (almutawafaa: 505hi), nashra: dar almaerifat - bayrut, eadad al'ajza'i: 4.
6. al'adhkar li'abi zakaria muhyi aldiyn yahyaa bin sharaf alnawawiu (almutawafaa: 676hi), tahqiqu: eabd alqadir al'arnawuwta, nashara: dar alfikr liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut - lubnan, tabeatan jadidatan munaqahatan, 1414 hu - 1994 m.
7. 'aelam alhadith (shrah sahih albukhari) li'abi sulayman hamd bin muhamad alkhataabi (t 388 hu), tahqiqu: du. muhamad bin saed bin eabd alrahman al saeud, nashara: jamieat 'umi alquraa (markaz albuhuth aleilmiat wa'iihya' alturath al'iislamii), altabeatu: al'uwlaa, 1409 hi - 1988 mu, eadad al'ajza'i: 4 (fi tarqim musalsal wahidi).
8. al'iifsah ean maeani alsihah li'abi almuzafar yahyaa bin hubayrat eawn aldiyn (almutawafaa: 560hi), tahqiq fuad eabd almuneim 'ahmadu, nashra: dar alwatani, sanat alnashr: 1417h eadad al'ajza'i
9. al'umu li'abi eabd allh muhamad bin 'iidris alshaafieii alqurashii almakiyi (almutawafaa: 204hi), nashra: dar almaerifat - bayrut, altabeata: bidun tabeati, sanat alnashri: 1410h/1990m, eadad al'ajza'i: 8.
10. 'aysar altafasir likalam alealii alkabir li'abi bakr jabir bin musaa aljazayiri, nashara: maktabat aleulum walhakmi,

almadinat almunawarati, almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeata: alkhamisati, 1424h/2003m, eadad al'ajza'i: 5.
11. alttahbyr l'iydah maeany alttaysyr li'abi 'iibrahim muhamad bin 'iismaeil bin salah alsaneani,almaeruf ka'aslafih bial'amir (almutawafaa: 1182hi)hqiqih waealaq ealayh wakharaj 'ahadithah wadabt nushi: mhammad subhy bin hasan hallaq, nashra: maktabat alrrushd, alriyad - almamlakat alearabyat alsaeudiata, altabeata: al'uwlaa, 1433 hi - 2012 mu, eadad al'ajza'i: 7.
12. altawdih lisharh aljamie alsahih li'abi hafs eumar bin ealii bin 'ahmad alshaafieii almisrii abn almulaqin siraj aldiyn (almutawafaa: 804hi), tahqiqu: dar alfalah lilbahth aleilmii watahqiq altarathu, nashra: dar alnawadr, dimashq - surya, altabeata: al'uwlaa, 1429 hi - 2008 mu, eadad al'ajza'i: 36 (33 wa3 'ajza' lilfaharisi).
13. taj alearus min jawahir alqamus li'abi alfayda, mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq almlqqb bimurtadaa, alzzabydy (almutawafaa: 1205hi), almuhaqiqi: majmueat min almuhaqiqina, nashra: dar alhidayati.
14. taqrib altahdhib li'abi alfadl 'ahmad bin ealii bin muhamad bin hajar aleasqalanii (almutawafaa: 852hi), tahqiqu: muhamad eawamat, nushra: dar alrashid - surya, altabeatu: al'uwlaa, 1406 - 1986, eadad al'ajza'i: 1.
15. aljamie (minshur kamalhaq bimusanaf eabd alrazaaqi) limueamar bin 'abi eamru rashid al'azdii mawlahum, nazil alyaman (almutawafaa: 153h), almuhaqiqi: habib alrahman al'aezami, nashara: almajlis aleilmia bibakistan, watawzie almaktab al'iislamii bibayruta, altabeata: althaaniati, 1403 ha, eadad al'ajza'i: 2 (al'ajza' 10, 11 min almusanafi).
16. aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umur rasul allah salaa allah ealayh wasalam wasunanuh wa'ayaamuh - sahih albukharii li'abi eabdallah muhamad bin 'iismaeil albukharii aljaeafi, tahqiqu: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir, nashra: dar tawq alnajaa (msawaratan ean alsultaniat bi'iidafat tarqim muhamad fuad eabd albaqi), litabeati: al'uwlaa, 1422hi, eadad al'ajza'i: 9.
17. jamie gharib alhadith almusadari: alshaamilat aldhahabiatu.
18. hashiat alsindi ealaa sunan abn majah - kifayat alhajat fi sharh sunan abn majah linur aldiyn muhamad bin eabd alhadi, 'abu alhasan, alsandi (almutawafaa: 1138h), nashra:

dar aljil - bayrut, bidun tabeati, (nfs safahat dar alfikri, altabeat - althaaniati).
19. dalil alfalhin lituruq riad alsaalihin limuhamad ealii bin muhamad alsidiqii alshaafieii (almutawafaa: 1057hi), aietanaa baha: khalil mamun shiha, nashara: dar almaerifat liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut - lubnan, altabeata: alraabieati, 1425 hi - 2004 mu, eadad al'ajza'i: 8.
20. sunan abn majah li'abi eabd allh muhamad bn yazid alqazwini, wamajat asm 'abih yazid (almutawafaa: 273hi), tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi, nashara: dar 'iihya' alkutub alearabiat - faysal eisaa albabi alhalbi, eadad al'ajza'i: 2.
21. sinan 'abi dawud li'abi dawud sulayman bin al'asheath bin 'iishaq alssijistany (almutawafaa: 275hi) tahqiqu: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamid, nashara: almaktabat aleasriata, sayda - bayrut, eadad al'ajza'i: 4.
22. sunan altirmidhii li'abi eisaa muhamad bn eisaa bn sawrt altirmidhi, (almutawafaa: 279hi) tahqiq wataeliqun: 'ahmad muhamad shakir (j 1, 2), wamuhamad fuaad eabd albaqi (ja 3), wa'iibrahim eatwat eiwad almudaris fi al'azhar alsharif (j 4, 5), nashra: sharikatan maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalabii - masira, altabeata: althaaniati, 1395 hi - 1975 mu, eadad al'ajza'i: 5 'ajza'un.
23. sharh al'arbaein alnawawiat fi al'ahadith alsahihat alnabawiat litaqi aldiyn 'abu alfath muhamad bin eali alqushayri, almaeruf biaibn daqiq aleid (almutawafaa: 702h), nashra: muasasat alrayan, altabeata: alsaadisat 1424 hi - 2003 mu, eadad al'ajza'i: 1.
24. sharah altaybi ealaa mishkaat almasabih almusamaa bi (alkashif ean haqayiq alsinan) lisharaf aldiyn alhusayn bin eabd allah altaybi (743h), tahqiqu: da. eabd alhamid handawi, nashara: maktabat nizar mustafaa albaz (makat almukaramat - alrayadu), eadad al'ajza'i: 13 (12 wamujalad lilfaharsi) (fi tarqim musalsal wahidi), altabeata: al'uwlaa, 1417 hi - 1997 mi.
25. shrah riad alsaalihin limuhamad bin salih bin muhamad aleuthaymin (almutawafaa: 1421hi), nashra: dar alwatan lilnashri, alrayadi, altabeati: 1426 ha, eadad al'ajza'i: 6.
26. sharah sunan 'abi dawud li'abi muhamad mahmud bin 'ahmad badr aldiyn aleaynaa (almutawafaa: 855hi) tahqiqu: 'abu almundhir khalid bin 'iibrahim almasrii, nashara: maktabat

alrushd - alrayad, altabeata: al'uwlaa, 1420 ha -1999 mu, eadad al'ajza'i: 7 (6 wamujalad fahars).
27. sharah sunan 'abi dawud lishihab aldiyn 'abu aleabaas 'ahmad bin husayn bin eali bin raslan alshaafieii (almutawafaa: 844 hu), tahqiqu: eadad min albahithin bidar alfalaah bi'iishraf khalid alribati, nashra: dar alfalah lilbahth aleilmii watahqiq altarathi, alfayuwm - jumhuriat misr alearabiat, altabeati: al'uwlaa, 1437 hi - 2016 mu, eadad al'ajza'i: 20 (al'akhir fahars)
28. sharah sunan 'abi dawud lieabd almuhsin bin hamd bin eabd almuhsin aleabaad albadari, masdar alkitabi: durus sawtiat qam bitafrighiha mawqie alshabakat al'iislamiat http://www.islamweb.net.
29. sharh sunan altirmidhii - eabd alkarim alkhudayr, bitarqim alshaamilat alia, durus mufraghatan min mawqie alshaykh alkhudayr.
30. sharah sahih albukharaa li'abi alhasan ealii bin khalaf bin eabd almalik abn bataal (almutawafaa: 449hi), tahqiqu: 'abu tamim yasir bin 'iibrahim, dar alnashra: maktabat alrushd - alsaeudiatu, alrayadi, altabeatu: althaaniatu, 1423h - 2003m, eadad al'ajza'i: 10.
31. sharh sahih muslim lilqadia eiad almusamma 'iikmal almuelim bfawayid muslim li'abi alfadl eiad bin musaa bin eayad, (almutawafaa: 544hi), tahqiqu: alduktur yhyaa 'iismaeil, nashra: dar alwafa' liltibaeat walnashr waltawzie, misr
32. sharah kitab altawhid min sahih albukharii lieabd allah bin muhamad alghiniman, nashara: maktabat aldaari, almadinat almunawarati, altabeata: al'uwlaa, 1405 ha, eadad al'ajza'i: 2.
33. sahih mawarid alzuman 'iilaa zawayid aibn hibaan li'abi eabd alrahman muhamad nasir aldiyn al'albanii (almutawafaa: 1420 hu), nashra: dar alsamieii lilnashr waltawziei, alriyad - almamlakat alearabiat alsaeudiat, altabeati: al'uwlaa, 1422 hi - 2002 mu, eadad al'ajza'i: 2.
34. sahih wadaeif sunan altirmidhi, limuhamad nasir aldiyn al'albanii (almutawafaa: 1420hi) masdar alkitabi: barnamaj manzumat altahqiqat alhadithiat - almajaaniu - min 'iintaj markaz nur al'iislam li'abhath alquran walsunat bial'iiskandariati.
35. tarah altathrib fi sharh altaqrib (almaqsud bialtaqribi: taqrib al'asanid watartib almasanidi) li'abi alfadl zayn aldiyn eabd

alrahim bin alhusayn aleiraqi (almutawafaa: 806h), 'akmalah aibnah: 'abu zareat wali aldiyn 'ahmad bin eabd alrahim bin alhusayn aleiraqi (almutawafaa: 826h), nashra: altabeat almisriat alqadimat - wasuaratuha dawr eidat minha (dar 'iihya' alturath alearabii, wamuasasat altaarikh alearabii, wadar alfikr alearabii), eadad almujaladati: 8.

37. aliein li'abi eabd alrahman alkhalil bin 'ahmad alfarahidii albasari (almutawafaa: 170hi), tahqiqu: da.mahdi almakhzumi, d 'iibrahim alsaamaraayiy, nashara: dar wamaktabat alhilali, eadad al'ajza'i: 8.
38. gharib alhadith li'abi sulayman hamd bin muhamad bin 'iibrahim almaeruf bialkhatabii (almutawafaa: 388 hu), tuhaqiqu: eabd alkarim 'iibrahim algharbawi, kharaj 'ahadithahu: eabd alqayuwm eabd rabi alnabi, nashara: dar alfikr - dimashqa, eam alnashri: 1402 hi - 1982 mu, eadad al'ajza'i: 3.
39. fath albari sharh sahih albukharii li'abi alfadl 'ahmad bin ealiin bin hajar aleasqalanii alshaafieii, nashara: dar almaerifat - bayrut, 1379, raqm kutubih wa'abwabih wa'ahadithihi: muhamad fuad eabd albaqi, qam bi'iikhrajih wasahhih wa'ashraf ealaa tabeihi: muhibu aldiyn alkhatibi, ealayh taeliqat alealaamati: eabd aleaziz bin eabd allah bin bazi, eadad al'ajza'i: 13.
40. fath albari sharh sahih albukharii li'abi alfadl 'ahmad bin ealiin bin hajar aleasqalanii alshaafieii, nashara: dar almaerifat - bayrut, 1379, raqm kutubih wa'abwabih wa'ahadithuhi: muhamad fuaad eabd albaqi, qam bi'iikhrajih wasahahih wa'ashraf ealaa tabeihi: muhibu aldiyn alkhatibi, ealayh taeliqat alealaamati: eabd aleaziz bin eabd allh bin bazi, eadad al'ajza'i: 13.
41. fath almuneim sharh sahih muslim lil'ustadh alduktur musaa shahin lashin, nashra: dar alshuruqi, altabeata: al'uwlaa (ldar alsharuqi), 1423 hi - 2002 mu, eadad al'ajza'i: 10.
42. fid alqadir sharh aljamie alsaghir lizayn aldiyn muhamad almadeui baeabd alrawuwf alminawi alqahiri (almutawafaa: 1031h), nashra: almaktabat altijariat alkubraa - masir, altabeata: al'uwlaa, 1356, eadad al'ajza'i: 6.
43. alqabs fi sharh muataa malik bin 'ans, li'abi bakr alqadi muhamad bin eabd allh bin alearabii almueafiri almalikii (almutawafaa: 543hi), tahqiqu: alduktur muhamad eabd allah

wild krim, nushra: dar algharb al'iislami, altabeati: al'uwlaa, 1992 mu, eadad al'ajza'i: 3 (fi tarqim musalsal wahidi).
44. alqawl alsadid sharh kitab altawhid li'abi eabd allah, eabd alrahman bin nasir al saedi (almutawafaa: 1376h), nashra: wizarat alshuyuwn al'iislamiat wal'awqaf waldaewat wal'iirshad - almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeata: althaaniati, 1421ha, eadad alsafahati: 223, eadad al'ajza'i: 1.
45. alkawakib aldirariu fi sharh sahih albukharii limuhamad bin yusif bin ealii alkarmanii (almutawafaa: 786hi), nashra: dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut-lubnan, tabeat 'uwlaa: 1356h - 1937m, tabeatan thaniatan: 1401h - 1981m, eadad al'ajza'i: 25.
46. alkawthar aljari 'iilaa riad 'ahadith albukharii 'ahmad bin 'iismaeil bin euthman alkuranii alshaafieii thuma alhanafii almutawafaa 893 ha, tahqiqa: alshaykh 'ahmad eazw einayat, nashra: dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut - lubnan, altabeata: al'uwlaa, 1429 hi - 2008 m eadad al'ajza'i: 11.
47. kashf almushkil min hadith alsahihayn li'abi alfaraj jamal aldiyn eabd alrahman bin ealii bin muhamad aljawzi (almutawafaa: 597hi), tahqiqu: eali husayn albawabi, nashara: dar alwatan - alrayad, eadad al'ajza'i: 4.
48. altawqif ealaa muhimaat altaearif lizayn aldiyn muhamad almadeui baeabd alrawuwf alminawi alqahirii (almutawafaa: 1031h), nashra: ealam alkutub 38 eabd alkhaliq thurut-alqahrati, altabeata: al'uwlaa, 1410h-1990m, eadad al'ajza'i: 1.
49. lisan alearab li'abi alfadl muhamad bin makram abn manzur (almutawafaa: 711hi), nashra: dar sadir - bayrut, altabeata: althaalithat - 1414 ha, eadad al'ajza'i: 15.
50. lamieat altanqih fi sharh mishkaat almasabih lieabd alhaqi bin sayf aldiyn albukharii alhanafii walmutawafaa sana (1052 hu), tahqiq wataeliqi: al'ustadh alduktur taqi aldiyn alnadawi, nashra: dar alnnwadr, dimashq - surya, altabeata: al'uwlaa, 1435 hi - 2014 mu, eadad al'ajza'i: 10.
51. almujtabaa min alsunan = alsunan alsughraa lilnisayiyi li'abi eabd alrahman 'ahmad bin shueayb alnasayiyi (almutawafaa: 303hi), nashra: maktab almatbueat al'iislamiat - halb, altabeati: althaaniati, 1406 - 1986, eadad al'ajza'i: 9 (8 wamujalad lilfaharisi).

52. majmae alzawayid wamanbae alfawayid li'abi alhasan nur aldiyn ealii bin 'abi bakr alhaythamii (almutawafaa: 807 hu), nashra: dar alfikri, bayrut - 1412 ha, eadad al'ajza'i: 10.
53. majmue alfatawaa li'abi aleabaas taqi aldiyn 'ahmad bin eabd alhalim bin taymia (almutawafaa: 728hi) tahqiqu: eabd alrahman bin muhamad bin qasam, nashra: majmae almalik fahd litibaeat almushaf alsharifi, almadinat alnabawiati, almamlakat alearabiat alsaeudiati, eam alnashri: 1416h/1995m.
54. mukhtar alsihah li'abi eabd allah zayn aldiyn muhamad bin 'abi bakr alhanafii alraazi (almutawafaa: 666hi), tahqiqu: yusif alshaykh muhamad, nashr almaktabat aleasriat - aldaar alnamudhajiata, bayrut - sayda, altabeata: alkhamisati, 1420h / 1999m, eadad al'ajza'i: 1.
55. marqaat almafatih sharh mishkaat almasabih li'abi alhasan nur aldiyn eali bin sultan alharawii alqariyi (almutawafaa: 1014hi), nashra: dar alfikri, bayrut - lubnan, altabeata: al'uwlaa, 1422h - 2002m, eadad al'ajza'i: 9.
56. musnid al'iimam 'ahmad bin hanbal li'abi eabd allh 'ahmad bin muhamad bin hanbal (almutawafaa: 241hi), tahqiqu: shueayb al'arnawuwt - eadil murshidi, wakhrun, 'iishrafi: d eabd allah bin eabd almuhsin alturki, nashra: muasasat alrisalati, altabeata: al'uwlaa, 1421 hi - 2001 mi.
57. misanid albazaar almanshur biaism albahr alzukhar li'abi bakr 'ahmad bin eamrw bin almaeruf bialbazaar (almutawafaa: 292hi),
(haqaq aljuz' 18), nashra: maktabat aleulum walhukm - almadinat almunawarati, altabeata: al'uwlaa, (bda'at 1988ma, wantahat 2009mu), eadad al'ajza'i: 18.
58. almusnad alsahih almukhtasar binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allah salaa allah ealayh wasalam limuslim bn alhajaaj 'abu alhasan alqushayrii alnaysaburii (almutawafaa: 261hi) tahqiqu: muhamad fuad eabd albaqi, nashara: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, eadad al'ajza'i: 5.
59. mashariq al'anwar ealaa sihah aluathar li'abi alfadl eiad bin musaa bin eayad alsabti, (almutawafaa: 544hi), dar alnashri: almaktabat aleatiqat wadar altarathi, eadad al'ajza'i: 2.
60. masabih aljamie limuhamad bin 'abi bakr bin eumra, badr aldiyn almaeruf bialdamaaminii , aetanaa bih tahqiqan wadabtan watakhrija: nur aldiyn talba, nashara: dar

alnawadir, suria, altabeata: al'uwlaa, 1430 hi - 2009 mu, eadad al'ajza'i: 10.

61. almuelm bifawayid muslim li'abi eabd allah muhamad bin ealii almazrii almalikii (almutawafaa: 536hi), tahqiqu: fadilat alshaykh muhamad alshaadhli alniyfar, nashra: aldaar altuwnisiat lilnashri, almwssst alwataniat lilkitab bialjazayir, almwssst alwataniat liltarjamat waltahqiq walddrasat bayt alhikmat, altabeata: althaaniatu, 1988 mu, eadad al'ajza'i: 3.
62. almafatih fi sharh almasabih limazhar aldiyn alhusayn bin mahmud bin alhasan alhanafy almshhwr balmuzhiry (almutawafaa: 727 ha) tahqiq wadirasatu: lajnat mukhtasat min almuhaqiqin bi'iishrafi: nur aldiyn talba, nashra: dar alnawadir, wahu min 'iisdarat 'iidarat althaqafat al'iislamiat - wizarat al'awqaf alkuaytiati, altabeati: al'uwlaa, 1433 hi - 2012 mu, eadad al'ajza'i: 6.
63. almifham lamaa 'ushakil min talkhis kitab muslim li'abi aleabaas 'ahmad bin eumar alqurtibii (578 - 656 hi), haqaqah waealaq ealayh waqadim lah: muhyi aldiyn dib mistu - 'ahmad muhamad alsayid - yusif eali badiwi - mahmud 'iibrahim bizal, nashara: (dar aibn kathir, dimashq - bayrut), (dar alkalm altayibi, dimashq - bayrut), altabeata: al'uwlaa, 1417 hi - 1996 mu, eadad al'ajza'i: 7.
64. alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaaj li'abi zakariaa muhyi aldiyn yahyaa bin sharaf alnawawiu (almutawafaa: 676hi), nashra: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, altabeata: althaaniatu, 1392, eadad al'ajza'i: 18 (fi 9 mujaladati).
65. musueat muhamad nasir aldiyn al'albanii <<musueat tahtawi ealaa 'akthar min (50) emlaan wadirasatan hawl al'albanii waturathihi>>, li'abi eabd alrahman muhamad nasir aldiyn al'albanii (almutawafaa: 1420h), sanaeahu: shadi aibn muhamad al nueman, nashra: markaz alnueman lilbuhuth waldirasat al'iislamiat watahqiq alturath waltarjamat, sanea' - alyaman, altabeatu: al'uwlaa, 1431 hi - 2010 mu, eadad al'ajza'i: 9.
66. alnihayat fi gharayb alhadith wal'athar li'abi alsaeadat majd aldiyn almubarak aljazarii abn al'uthir (almutawafaa: 606hi), nashra: almaktabat aleilmiat - bayrut, 1399h - 1979m, tahqiqa: tahir 'ahmad alzaawaa, wamahmud muhamad altanahi, eadad al'ajza'i: 5.